

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف . المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 201535113903

رقم التسجيل ط2: 201535106782

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص:

أدب عربي حديث ومعاصر

ثنائية المكان في رواية محفور من الشرق لتوفيق الحكيم

إعداد الطالبتين:

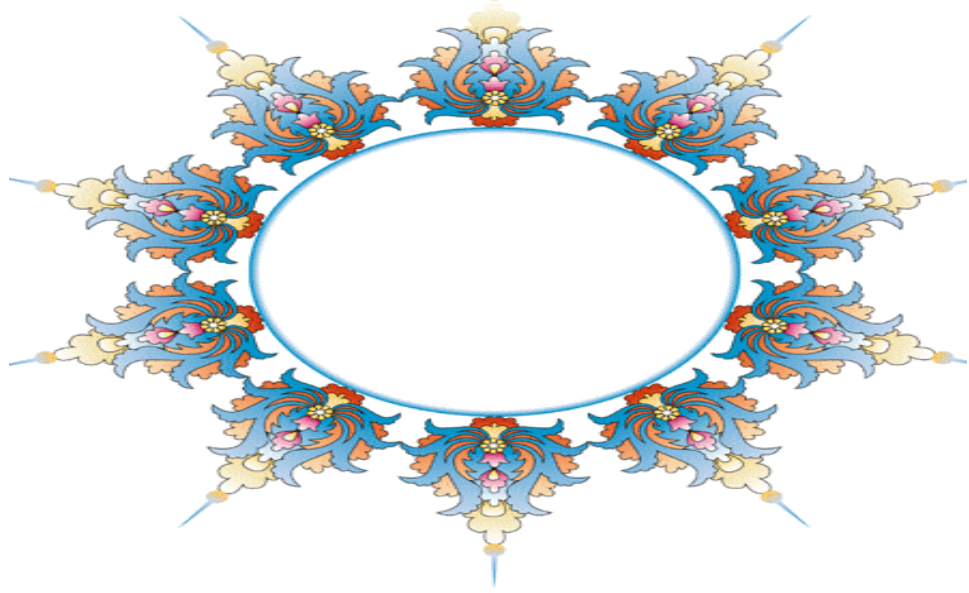
- لعماري سلمى

- لقليل سعاد

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الرتبة الجامعة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	أ. دكتور. جامعة المسيلة	نور الدين سيليني
مشرفا ومقررا	أ. محاضر. جامعة المسيلة	مصطفى بن عطية.
مناقشا	أ. دكتور. جامعة المسيلة	عبد الرحمان بن يطو

السنة الجامعية: 1440-1441هـ / 2019-2020م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

بداية نشكر الله عز وجل ونحمده حمدا "كثيرا" أن مكننا من الوصول إلى هذه

المكانة العلمية المميزة، و يسر لنا الطريق أمام تحقيق أمنية غالية.

ثم نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من ساهم في انجاز هذه الدراسة، ونخص

بالذكر المشرف عليها الأستاذ ﴿بن عطية مصطفى﴾ والذي أثرى بتوجيهاته الثمينة

هذه الدراسة وساندنا بالعلم والمعرفة والخبرة الواسعة طيلة مدة انجازها.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لأساتذتنا الأفاضل في قسم الأدب بجامعة المسيلة.

و نشكر أيضا "زملائنا الكرام، كما نشكر كل من رافقنا في رحلتنا مع العلم

والمعرفة لنصل إلى هذا المنبر الذي حلمنا به طويلا..".

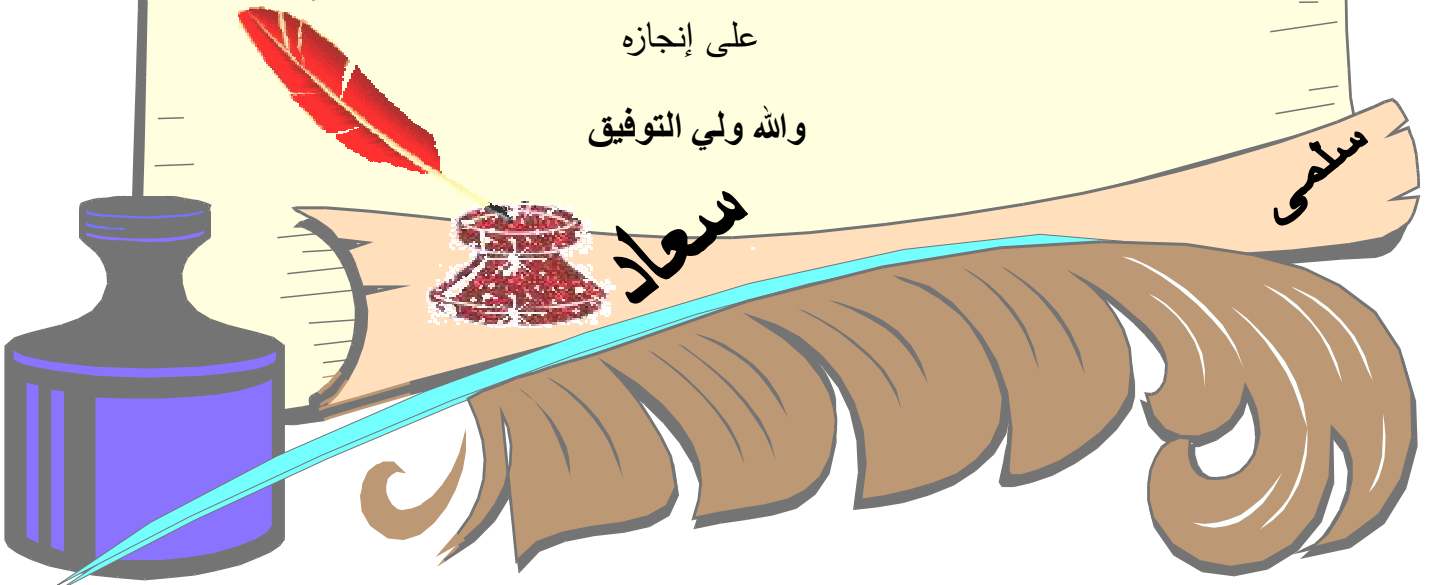
كما لا ننسى الشكر لمؤسسة العربية للإعلام الآلي بحي 500 مسكن

على إنجازهِ

والله ولي التوفيق

سعاد

سلمى



الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾

صدق الله العظيم

[سورة الإسراء، الآية 80]

قول مأثور .

{ إنني رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه ، إلا قال في غده لو غي هذا لكان أحسن، و لو أجد كذا لكان أفضل، و لو ترك ذلك لكان أجمل و هذا من عظيم العبر و هو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر } .

العماد الأصفهاني

مقدمة

يعد الحديث عن الرواية العربية مجالا واسع الدراسة باعتبار أنها تخضع لعوامل متعددة منها الاجتماعية و النفسية و حتى السياسية.

وجاء في كتاب تحليل النص السردي لمحمد بوعزة في تعريفه للرواية: "هي جنس أدبي غربي الماهية و المنبت ظهرت في العصر الحديث ثم انتقلت إلى العرب عن طريق الترجمة و التعريب".

و بهذا أصبحت الرواية من أهم الإبداعات الأدبية التي شهدها العصر فحظيت بعناية خاصة، و تراكت حولها الأبحاث و الدراسات كونها نوع قصصي و ضرب من التصور مميز الهوية والتاريخ و الفرد ، أي أنها إنتاج غربي دخيل ، فهي تعبير على الواقع الإنسان وهواجسه وتطلعاته ، ونأخذ كمثال للدراسة في بحثنا هذا توفيق الحكيم ، الأديب والكاتب المصري رائد الرواية الكتابة و المسرحية العربية ، حيث تعد روايته عصفور من الشرق انعكاسا حقيقي لحال المجتمع الفرنسي الفقير في ذلك الوقت ، و المغزى الحقيقي كامن في الرواية في صراعات الحضارات و النظريات ، وبهذا فإن موضوعنا الذي تطرقنا إليه هو الذي يحمل عنوان ثنائية المكان في رواية عصفور من الشرق ، يعد إشكالية بحد ذاتها خاصة وأن الدراسة الأدبية تقتضي التعمق في حياة الكاتب الشرقية و الغربية ، وما دام السؤال مشروعاً فإنه يحق لنا التساؤل التالي : ما هي تجليات الرؤية الشرقية والغربية على مستوى الرواية ؟

وفيم تظاهرات الثنائية المكانية في الرواية ؟

وبم تميز موقف الحكيم من هذه الثنائية ؟

هذه التساؤلات الظاهرة وأخرى خفية تتجلى في مضمون الرواية سنحاول الإجابة عنها من خلال بحثنا هذا، وقد دفعتنا عدت أسباب لدراسة هذا الموضوع منها:

أسباب ذاتية و أخرى موضوعية، والتي كانت حافزا لنا ونذكر منها :

-تماشي موضوع بحثنا مع تخصصنا ورغبتنا في التطرق إليه وفق منهج ورؤية فنية في الرواية العربية.

- حداثة الموضوع ، لا سيما ما تعلق منه بالثنائية المكانية .

- إثراء مكتبة الجامعة بمثل هذه البحوث الجادة .

- الرغبة الشخصية لاكتشاف جمالية النصوص الموازية ومدى تأثيرها على القارئ .

تجتمع هذه الأسباب والتساؤلات لتشكل المحرك المعرفي والجمالي لهذه الدراسة المعنونة بثنائية المكان في رواية عصفور من الشرق، و التي تسعى إلى طرح قضيتين جوهريتين:

الأولى تتعلق بقضية الصراع بين الحضارات عموما والصراع بين حضارتي الشرق و الغرب خصوصا ، حيث الشرق متمثل بالشباب المصري والغرب و المتمثل بالفتاة الفرنسية ، أما القضية الثانية : وهي تتمثل في قصة حب فاشلة بين شاب مصري و فتاة فرنسية في باريس ولنجيب على هذه الإشكالية حاولنا تصميم خطة بحث ضمت مقدمة ومدخل سنتناول فيه مفهوم الثنائية لغة و اصطلاحا و مفهوم الشرق والغرب في القرآن الكريم و المعاجم اللغوية والفصل الأول كان نظريا تحت عنوان الرواية العربية و ثنائية المكان والفصل الثاني تطبيقا والذي يندرج تحت عنوان صورة المكان في رواية عصفور من الشرق ونهاية بحثنا ختمناه بخاتمة تحوي أهم النتائج المتوصل إليها، لنصل إلى المصادر والمراجع المعتمدة ، ليكون المنهج المعتمد عليه هو المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لدراسة هذا الموضوع من خلال جمع مادة البحث العلمية ومقارنتها ووصفها وتحليلها ، وكما وظفنا المنهج التاريخي مراعاة للتسلسل الزمني الذي تقتضيه بعض المواضيع كاللقاء الحضاري مثلا (اللقاء بين الشرق و الغرب) .

ومما ساعدنا على إثراء دراستنا العديد من المراجع بالإضافة إلى مصدر الرواية
عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم التي كانت محور البحث، و أيضا كتاب توفيق الحكيم
وأسطورة الحضارة لناجي نجيب.

وكان من الطبيعي أننا حين سلطنا طريقنا في خوض غمار هذا البحث كنا متيقنين
أن هذه الدراسة لم ولن تكون سهلة يسيرة، بل هي محفوفة بكثير من المصاعب والمتاعب
لعل من بينها:

- تشابه المادة العلمية وتداخل الأفكار وصعوبة التحكم فيها.

- جائحة كورونا التي أعاققت عملنا و أبطأت في سيرورته .

لتكون آخر الكلمات شكرا خالصا و تقدير للأستاذ المحاضر مصطفى بن عطية
الذي وضع قلمه على عتبة هذا البحث ورافق مسيرته من ألفه إلى بقائه، كما أشكر
من مدى لنا يد العون سواء كان من قريب أو بعيد.

نسأل الله التوفيق و السداد ،فإن وفقنا فمن الله عز وجل و إن أخطنا او نسينا فمن أنفسنا
ومن الشيطان .

مدخل

01- مفهوم الثنائية لغة واصطلاحاً

02- مفهوم الشرق والغرب

01- مفهوم الثنائية لغة واصطلاحاً :

أ- لغة: تعود لفظة الثنائية إلى الجذر الثلاثي: ث ن ي، ثنى، يثنى وهو تكرير شيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك ثنيت الشيء ثنياً.⁽¹⁾ وقيل أنه مشتق من ثنى الشيء ثنياً، رد بعضه على بعض... وثنى الشيء عطفه وثناه : أي كفه ...

ويقال : ثنى صدره على كذا طواه وستره وورد لفظ الثنائية في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتُنْفِرُ هِمَّ سَدِّ تَخْفُوَانِهِ الْإِحْسِنُ غَشٌّ وَنَابَ هَيْمٌ لَمْ يُمَسِّرْ وَنَ وَ مِ هُ لِنُورِنَا لِيَمِ بَذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [سورة هود الآية 05]

وقد تثنى و الاثنان ضعف الواحد، و ثنيت الشيء جعلته اثنين... و إثناء الوشاح من ثنى منه ...و الثني الإخفاء⁽²⁾.

وقيل جاء القوم مثنى مثنى، أي اثنين، اثنين و ثنيت الشيء بالنتقيل أي جعلته اثنين.⁽³⁾

فالمعنى اللغوي للثنائيات يدل على ما هو أكثر من الواحد، مهما كان عدد الثنائيات فقد تتعدد الثنائيات لكنها تدور في فلك ا لرقم اثنين.

(1) - ابن فارس ، أحمد الرازي (ت 395 هـ) ، معجم مقاييس اللغة ، باب التاء و النون وما يمثلها .

(2) - ابن منظور ، جمال الدين الإفريقي (ت 701 هـ) ، لسان العرب مادة شيء ، أنظر : الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817 هـ

(، معجم القاموس المحيط (مرتب ترتيباً ألف بانياً) ، مادة ثنى ، و أنظر أيضاً أنيس إبراهيم و آخرون ، المعجم الوسيط المادة ثنى .

(3) - الفيومي المقرئ ، أحمد بن محمد (ت 770 هـ) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، مادة ثنى .

ب-اصطلاحاً : تعدد معنى الثنائية في جوانب عدة ، ففي الجانب البلاغي في رأي عبد المطلب محمد ، الثنائية لم تأخذ شكلاً واحداً في الدرس البلاغي ، بل تعددت مفاهيمها وفق المجال الذي ترد فيه ، يقول : " إن النمط الثنائي لم يأخذ شكلاً واحداً في كل مجال من مجالات الدرس البلاغي ، بل يبدو أنه كان هناك نوع من التوافق بينه وبين المجال الذي يرد فيه . (1)

وفي علم البديع تكاد تكون الثنائية تفاعلاً خالصاً و استثماراً لإمكانات اللغة و ما تقدمه في هذا المجال من ألوان التوافق و التحالف . (2)

والثنائية في الجانب الفلسفي هي زوجية المبادئ المفسرة لكون ثنائية الأضداد وثنائية الواحد وغير المتنامي عند الفيثاغورثيين(*) أو ثنائية عالم المثل و عالم المحسوسات عند أفلاطون ... الخ.

فالثنائية إذن علاقة تربط بين الطرفين يجمعهما التوافق أو التضاد

02- مفهوم الشرق والغرب

إن مفهوم الشرق و الغرب كغيره من المفاهيم له معاني عديدة سواء كان لغوياً أو جغرافياً أو تاريخياً، ومنه ما ورد :

أ- في القرآن الكريم

ورد ذكر لفظتي الشرق في عدة مواضع:

قال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَدِلٌ﴾ [سورة البقرة الآية 115]

(1) - عبد المطلب محمد، بناء الأسلوب في شعر الحداثة: التكوين البديعي، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1995 ص 69.

(2) - عبد المطلب محمد ، المرجع نفسه، ص70 .

(*) - الفيثاغورثيين ، أصحاب مذهب فلسفي سبقت ظهور أفلاطون ، اعتمدت على الثنائية في الرؤية و جوهر فكرهم من مؤسسيها فوريوس.

قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ لَاحِقُوا إِبْرَاهِيمَ فِي بَيْتِهِ أَنَّهُ إِلَهُ آلِهَةٍ تَزْجُرُ الْإِنْسَانُ لَبَّاسًا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبْلُغُ أَرْبَابَهُمْ مُّشْتَرَكِينَ ۚ أَتَدْعُونَ شِرْكًَا فَأَتْبَهُمْ جَنُودَهُ ۖ فَيُغْرِبُهُمْ ۚ وَاللَّهُ يُلَاقِي ظَلَامَهُمْ ۚ [سورة البقرة الآية 258].

قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ تُدْرِكُوا الْغُرُوبَ ۖ فَمَا أَجَلُهُمْ ۚ لَبُثْتُمْ قُلُوبًا ۚ﴾ [سورة الشعراء الآية 28].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تُدْرِكُوا الْغُرُوبَ ۖ فَمَا أَجَلُهُمْ ۚ لَبُثْتُمْ قُلُوبًا ۚ﴾ [سورة المزمل الآية 09].

ب- في المعاجم اللغوية: ورد ذكر لفظة المشرق في معجم لسان العرب: شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً: طلعت و إسم الموضع المشرق. (1)

وأشرق الشمس إشراقاً: أضاءت ونبسطت على الأرض، وقيل: شرقت وأشرققت طلعت، حكا سيبويه: شرقت وأشرققت أضاءت، وشرققت بالكسر: دنت للغروب².

بن سیدو يقول: والمشرق قارة والمشرق الموضع الذي تشرق عليه الشمس، وخص بعضهم به الشتاء.³

أما الجغرافيون فهناك من قسموا الشرق إلى ثلاث أقسام:

- الشرق الأدنى: إسم يطلق على مناطق آسيا الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، شمالاً تركيا، قبرص، سوريا، لبنان وحتى مصر.
- الشرق الأقصى: إسم يطلق على بلدان آسيا الشرقية اليابان، كوريا، الصين، الهند، أندونيسيا، ماليزيا، تايلاند.
- الشرق الأوسط: إسم يطلق على بعض مناطق آسيا، شبه الجزيرة العربية.

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ت ح: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط 1، 2008، ص 83.

(2) - سيبويه: هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يكنى أبو بشر، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو، اخذ النحو والأدب عن الخليل الفراهيدي وخفش.

(3) - ابن سيده هو علي بن إسماعيل أبو الحسن، اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، إمام اللغة وآدابها، ومن مؤلفاته كتاب المخصص الذي يعد أضخم المعاجم العربية التي تعنى بجمع ألفاظ اللغة وتكوينها حسب معانيها.

وبالنسبة للفظة الغرب فالغرب والمغرب بمعنى واحد، و أحد المغربين أقصى ما تنتهي إليه الشمس في الصيف والآخر أقصى ما تنتهي إليه في الشتاء .⁽¹⁾

غربت الشمس تغرب غروباً ومُغَيَّرٌ بِأَنَآتِهَ أَي عند غروبها، وفي حديث أبي سعيد: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مغيربان الشمس.

والهَرَبُ : الذي يأخذ في ناحية المغرب، قال قيس بن الملوح:

لَيَ الْغُدَاةَ، كَذَاظِرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغَرَّبٍ².

وتغرَّبَ : أتى من قبل الغرب.

إن ثنائية المكان "الشرق و الغرب" من الثنائيات الفكرية التي تجمعهما علاقة تضاد الشرق المتخلف بروحانية و الغرب المادي بثرائه وعلمه .

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ج 10، ت ح: خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط 1، 2008، ص28.

(2) - قيس بن الملوح : شاعر غزل عربي الملقب بمجنون ليلي، من أهل نجد عاش في فترة خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن

الأول من الهجرة في بادية العرب.

الفصل الأول

الرواية العربية وثانيتها المكان

أولاً: اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب

اتسمت العلاقة بين الشرق والغرب بالطابع العدائي المستمر وقد أصبح الصراع بينهما صراع تقليدي غزاه البعض إلى العامل الديني بينما راه البعض خلاف ذلك، إذن ان هذا الصراع الذي عبر عنه الكاتب سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه (تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى) " انه كان مستعمرا في وقت كان فيه الفريقان وثنيين، وكانت الحروب الصليبية التي شنتها أتت من الغرب إحدى العوامل التي اعتاد المؤرخون ان ينظروا إليها على أنها أهم الحركات في تاريخ البشرية بوجه عام، وفي تاريخ العصور الوسطى على وجه التحديد.

وكتاب (تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى)

يتناول بعمق ماهية الحركة الصليبية التي ينعت من الغرب الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكلا هجوميا حربيا استعماريا على بلاد المسلمين وخاصة الشرق الأدنى، وهو يبحث عن دوافعه الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية.

ولقد كان الصراع بين الحضارتين من الجانب الثقافي قائم على التصادم، بحيث كانت هناك ثقافة تؤمن بالتعايش مع الآخر وتقبل أفكاره وآراءه، في نظر بعض المشاركة وثقافة تؤمن بلباء وإبادة الآخر ومحاولة فرض هيمنتها وسيطرتها على الأنا الشرقية من جميع جوانب الحياة" ¹ (خاصة ما يتعلق بالهوية).

وبعد هذا الصراع والصدام بين الحضارتين، الذي اخذ عدة جولات كان الغالب والمنتصر هو الغرب، إلى ان جاء الإسلام وغير موازين الحياة بمشروع حضاري استطاع ان يستوعب الشرق كله بحضارته المتعددة وثقافته المتنوعة وأديانه المختلفة مشروع قائم على حرية العقيدة، وعدم الإكراه في الدين واحترام حق الجميع في ممارسة معتقداته، مشروع قائم على نشر العدل بين كل البشر بغض النظر عن جنسيتهم وأديانهم ومحاربة كل ظالم مستبد مشروع قائم على تقدير العلم والمعرفة والسعي من اجل تحصيلهما، مشروع حضاري ضد

1- بتصرف: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، نشر 2003 ص368.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

الاستبداد بكل أشكاله وألوانه يمنع استعباد الأحرار بانتهاك كرامتهم أو سلب ثروتهم ويعطي العبيد حقوقهم، تماثل حقوق السادة.¹

وهكذا استمر الصراع والنقاش حول موضوع " الشرق والغرب " إلى يومنا هذا، مما أسال الحبر لكثير من الكتاب والروائيين لعلاج مشكلة هذا الصراع والانصرام بين العلاقات الحضارية، وهناك الكثير من الروائيين العرب الذين تناولوا هذا الموضوع منهم:

طه حسين وكذا يحيى حقي في روايته قنديل أم هاشم وكذا رواية أمريكا تلي لعبد إبراهيم وغيرهم الكثير، إلا ان توفيق الحكيم كان بارزا في طرح أفكاره.

1-رؤية الأنا الشرقي للآخر الغربي:

لقد كانت رؤية الشرق للآخر الغربي رؤية انبهار و إعجاب، وحلم كل شاب شرقي، فمثلا في رواية عصفور من الشرق الذي كان محسن فيها بطل الرواية يرسم آماله وأحلامه إلى السفر والتخليق بجناحيه إلى الغرب و بالتحديد باريس، إلا أن هناك حقائق و رؤيات خفية تعكس رؤية مٌدسِنٌ ، لا بد لنا من معرفتها وهي: " ذاكرة المسلمين مازالت تحتفظ بصورة سلبية حول تعامل الآخر الغربي معهم ذلك من قبل رُلَّاب الديانات الأخرى واتباعها وان معظم أقطار العالم الإسلامي قد تعرضت إلى الاحتلال (الاستعمار) العسكري المباشر الذي جثم على المجتمع المسلم ردحا من الزمن، تخطى في بعض الجهات مئات السنين، وترك آثار سلبية ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية، لا تزال المجتمعات تعاني منها" ² .

" مما دفع بعض الباحثين الى رفض وعدم الرضا بمصطلح الاستعمار ويفضل المصطلح البديل "الاحتلال"، ولقد ظهر علينا مصطلح جديد بديل للإستعمار ونقيضه: الأستخراب و الإبتدمار لأنه هو الذي يعبر عن حالة التي جثم فيها الغرب على الشرق فلم يعمره و إنما سعى إلى هدمه والقضاء عليه" ³ .

وهذه الرؤية ما زالت راسخة لدى ذهن الأنا الشرقي إتجاه الآخر الغربي التي لم تكتفي إلى الاحتلال والتخريب فقط بل أكثر من ذلك أنها سعت إلى التنصير " الذي كان وما يزال

1- بتصرف: سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، نشر 2003 ص368.

2- علي بن إبراهيم النملة، الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها ط3، الرياض 1430 هـ ص 21، 22.

3- مرجع نفسه ، ص 115.

الفصل الأول الرواية العربية و ثنائية المكان

موجها إلى المسلمين وغير المسلمين بصورة مختلفة تتقلب بحسب الحال وبحسب البيئة، بل بحسب الزمان والمكان، فالحملة التنصيرية الموجهة إلى المجتمع المسلم تختلف عن الحملة التنصيرية الموجهة إلى مجتمع غير مسلم بعيد عن الإسلام في عقيدته، وتختلف عن الحملة التنصيرية الموجهة إلى مجتمع مسلم قوي في عقيدته وقوتها في نفوس المسلمين¹ ورغم كل هذه المحاولات " والسعي إلى التنصير لم يتحقق هذا الهدف، وهذه المهمة بسهولة المتواخاة إذ أن الإسلام يقوم على عقيدة توحيد التي تتماشى مع فطرة الإنسان بالإضافة إلى أن الإسلام بقى نقي محفوظا من كل محاولات التغلغل لتقويض دعائمه"² وركائزه.

نظر كل شرقي للآخر الغربي بزوايته ووجهته الخاصة، فالكثير من الشرقيين أعجبوا بالخصارة الغربية ومعيشتها السائدة هناك، مما دفع بالشرقيين إلى شد الرحال نحوهم.

وتختلف حياة الإنسان الغربي عن حياة الإنسان الشرقي من جميع نواحي الحياة وخاصة الحياة الاجتماعية من بيئة ولغة ودين وتاريخ ونوع الحياة وخاصة الحياة الاجتماعية من بيئة ولغة ودين وتاريخ ونوع وحضارة وغير ذلك. ومثال ذلك "إنّ الفرد وحدة الحياة الاجتماعية في الغرب والأسرة وحدتها في الشرق ومعنى ذلك أنّ الفرد له اكبر إمتيازات في الغرب والأسرة لها أكبر إمتيازات في الشرق"³

ومظهر ذلك "إنّ الفرد الغربي له اكبر حرية فهو يفعل ما يشاء ويرقى نفسه كما يشاء، وينصرف إلى الجدي، ويتقصد في اللهو ما يشاء، ويتخير العمل الذي يشاء في المكان الذي يشاء وليس لأسرته أن تتدخل تدخلا حاسما في ذلك، حتى الفتاة في كثير من الأوساط أصبح لها من الحرية الفردية ما للفتى وقد ترتب على هذا الوضع جملة نتائج منها، مثلا: العلاقة بين الزوج والزوجة، فمقتضى الفردية أنّ الزوج لا يتدخل في شؤون زوجته إلا بقدر.

فلا يصح مثلا أن يفتح خطاباتها ولا يمنعها حريتها في حدوده وهي كذلك بالنسبة له"⁴

1- علي بن ابراهيم نملة، المرجع السابق ص 129.

2- مرجع نفسه ص 131.

3- احمد امين الشرق والغرب، القاهرة(طبعة التأليف والترجمة 1955)، ص 77.

4- أحمد أمين الشرق والغرب، القاهرة(طبعة التأليف والترجمة 1955)، ص 105.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

وسمة الاختلاف جلية وواضحة من خلال المقارنة بين المرأة الغربية والمرأة الشرقية حيث
نأ :

المرأة الغربية تمتاز عن المرأة الشرقية سعة ثقافتها " بحكم أنها في الغالب تتعلم تعلماً أرقى
وبحكم أيضاً أنها أكثر اطلاعاً للعالم وبحكم مخالطتها للرجال ومحادثتها الطويلة معهم
وبحكم رحلاتها وما تتمتع به من حرية ويظهر ذلك كثير في ترتيبها لأودها على أساس
علمي لا خرافي كما يظهر في حديثها وتصرفاتها" ¹ ولقد " جاهدت المرأة الغربية لكسب
حقوقها على فترات حتى أصبح لها من الحقوق ما للرجل فهي مواطنة مثله، لها أن تباشر
أعمالها كما تشاء، وكان مما استبدت به أنها في تكوينها البيولوجي والفيزيولوجي كالرجل
وأنها تدفع الضرائب ولها عليها من الواجبات القانونية ما على الرجل وتتحمل أعباء تربية
الأولاد" ²

وهناك من الشرقي من يرى أن المرأة الغربية تعتني بنفسها أكثر مما تعتني بغيرها، كما جاء
في روايتنا عصفور من الشرق في وصف الحكيم لها أنها فتاة شقراء بيضاء البشرة أنانية
خفيفة، لا تهتم بمشاعر الآخرين إلا أنها تهتم "بمظهرها وملابسها وأسباق وجهها وأدوات
زينتها أهمية كبيرة لأنها تعلم أنها في مجتمعات إن فقدت جمالها فقد كيانها" ³

2-رؤية الآخر الغربي للأنثى الشرقي:

1 - مرجع نفسه ص 113.

2- مرجع نفسه ص 113.

3- مرجع نفسه ص 14.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

تختلف رؤية الغربيين ونظرتهم للشرق فيما بينهم، فهناك من ينظر إليها " نظرة حب أو ازدراء أو كراهية... ومهما تكن طبيعة هذه النظرة فهي تحولها إلى موضوع قابل للتأمل" ¹

ونقصد بها تأمل الغربي لانا الشرقي من ناحية الاهتمام. حيث " يزداد الإهتمام اليوم بالإسلام والمسلمين من قبل أولئك الذين لا يدينون للإسلام، وليسوا من المسلمين، وليس هذا الإهتمام جديد على الإسلام والمسلمين يقدم نفسه على أنه بديل لجميع الأنظمة والقوانين القائمة التي تريد أن تهيأ للإنسان حياة طيبة، وتحقق له الرفاه الإجتماعي ويزداد الإهتمام بالإسلام والمسلمين اليوم ناتج على ما يبدو عن رئيسين: أولهما هذه العودة الصادقة التي يسمها بعض المتابعين بالصحو أو الأحبائية الثنائية، إلى الإسلام في المجتمعات المسلمة والجاليات المسلمة المغتربة في المجتمعات غير المسلمة" ²

ومن المؤسف " أن الإسلام في المجتمعات غير المسلمة يقدم علميا وثقافيا من خلال مجموعة من مراكز الدراسات الإسلامية أو العربية أو الشرق أوسطية الأكاديمية ويجمعها جميعا إسم المراكز الإستشراقية وبعض هذه المراكز ينطلق من خلفية معادية للإسلام، فهي تصور الإسلام بالصورة التي صوره فيها طلائع أرباب هذه المراكز قبل أكثر من ثماني مئة سنة خلت، لاسيما مع انتهاء الحروب الصليبية وعودة الصليبيين إلى ديارهم من دون تحقيق الأهداف التي جاؤوا إلى الشرق من أجلها" ³

ونظر الغرب إلى الإسلام أنه:

القوة الكامنة أو العدو القادم أو الخطر القائم وهو على ما يبدو يحشى هذه القوة القادمة لما يعتقد من أنها ستؤثر مباشرة في معطيات الحضارة الغربية، وسترجع الشعوب والحضارات إلى الوراء وما يتبع ذلك من خسران للتجربة الديمقراطية الغربية في المنزل والمكتب والمدينة والمقاطعة والولاية والدولة.

1- ينظر فؤاد كامل، الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف (د، ط) مصر (د ت) ص 34.

2- علي بن إبراهيم النملة المرجع السابق ص 15.

3- علي بن إبراهيم النملة، مرجع سابق ص 18.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

إن الغرب بعلاقته بالشرق، وهو الإسلام هنا يقوم على فكرة استشراقية قديمة تتجدد، بنيت على تشويه الإسلام، ذلك التشويه الذي أججته مواقف المسلمين من الحروب الصليبية، وعدم سماحهم للحملات بالنجاح على حساب المسلمين.

الغرب بعلاقته مع الشرق (هم المسلمون هنا) يقوم أيضا على فكرة التنصير، وإن الشرق ينبغي أن يكون غربا في المفهوم الديني كذلك وأنه في سبيل إنقاذ الشرق من أي شر لابد يتحول الشرق إلى عالم نصراني.

والغرب بعلاقته بالشرق " وهي البلاد الإسلامية هنا يقوم كذلك على خلفية إحتلالية <<استعماري>> كانت في يوم من الأيام هي المسيطرة على الشرق، حينما كان الشرق نائما لا يملك قدرات بشرية تفكر وتقود وتعمل.¹

وينظر الغربي (الأخر) للنا الشرقية خاصة المرأة العربية، " أنها حديثة عهد يعلم، وقد كانوا في القرون الوسطى حتى إلى عهد قريب يحرمون تعليمها، ويعتقدون أنها لم تخلق للعلم، ولكن لتقعد في بيتها وتدير شؤونها، وهي حتى الآن لم تبلغ مبلغ كبيرا في العلم مع السماح لها بالدخول للجامعات، ومع سفورها ومخالطتها الرجال ودخولها في الوظائف الحكومية والأهلية إلا في القليل النادر، وليست نساء المدن هي المقياس الصحيح للمرأة بل يجب أن ننظر إلى ذلك نظرة تشمل جميع نساء المجتمع الشرقي، وضعف تعلم المرأة الشرقية يجعلها تؤمن بكثير من الثقافات.

تؤمن بكثير من الثقافات بالحجة والتعويد وتسيير حياتها وفق هذه الإعتقادات".²

ورأى الغربي للنا الشرقي نظرة قائمة على "الفوقية" بغض النظر عن الخلفية الثقافية، لهذا الشخص فيستوي في ذلك الشرقي وغير الشرقي سواء أكان هذا الشرقي مسلما أم كان ذو ثقافات أخرى ولذا لم يتحمل الغربي أن ينظر إلى الإسلام على أنه دين شامل بل ينظر إليه

1- علي بن ابراهيم نملة، مرجع السابق ص 30.

2- احمد امين، مرجع السابق ص 112، 113.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

دين أتى من الشرق ومن العرب تحديداً، ولذا يستخدم المصطلحات الإسلامية والعربية تبادلياً بل إن مصطلح العرب عند الغرب طافياً على مصطلح الإسلامي" ¹ .

ويعد الإعلام الغربي خاصة عامل من عوامل الرئيسة التي تسعى إلى تشويه صورة الشرق، وذلك من خلال الإنتاج الفني المتمثل في تقارير والأفلام السينمائية التي ذابت على تصوير العرب (المسلمين) صورة لا تليق بالإنسان والحضارة سواء من النواحي الغير أخلاقية أم من تصوير العرب (شرق) من خلال مواقفهم السياسية وتعاملهم معها بالعنف والتخريب والهدم (كالإرهاب).

" فالمسلمون في هذه الأفلام إما شهوانيون يشربون الخمر ويتعاطون المخدرات ويرقصون ويعاشرون الحريم ويكثر الجوارح، وإما غشاشون محتلون ماكرون في التعامل مع الرحلات الأجنبية والمستشرقين والمستكشفين والبلثين والبعثات الدبلوماسية، وإما غواة يعشقون التفجير والخطف والإغتصاب والإهانات الأخرى. وهذه الصورة النمطية في تقارير المرئية والسينما والمسلسلات الغربية" ²

وفي هذا المتن في رؤية الغربي لأننا الشرقية على أنها رؤية دونية تسعى للتبعية والتقليد للآخر الغربي بكل جوانبه.

ثانياً: بين الشرق والغرب.

1- مادية الغرب وروحانية الشرق

اعتاد الكاتبون ان يصفوا الشرق بالروحانية الغرب بالمادية، حتى قال فَنَدَ لَبَ دَ د في كتابه تاريخ فلسفتها مادية الغرب بروحانية الشرق وجرى على اثره كثيرون وقد طعن اخيراً في هذا المعنى بعض الكتاب اذ قالوا ان الغرب يفوق الشرق ايضاً في روحانيات كما يفوته في الماديات فنجد ان عواطفهم أرق، وأن عنايته بالمستشفيات والملاجئ والتنظيم الاحسان أرق فإن أردنا بالروحانيات الخرافات والأوهام كتحضير الجن والسحر فالغرب فيها حقا خير من الشرق، وإي، أريد بالروحانيات رقى العواطف وأعمال ذلك يكون الغرب أرقى في الماديات

1- علي بن إبراهيم نملة، مرجع السابق ص 77.

2- علي بن إبراهيم النملة، المرجع السابق، ص 103، 104.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

والروحانيات جميعا، ولكن يظهر لنا الناحية الروحانية غير الناحية العقلية وغير الناحية العاطفية ويتجلى ذلك في الشرق في أمور:

- إن الشرق منبع الديانات الكبرى كاليهودية والنصرانية والاسلام وهي ثلاث أديان كبرى في العالم، بل ومذاهب بوذة وكنفوشيوس وزرادشت، كلها نبعت في الشرق وانتقلت منه إلى الغرب، وقد كانت ولا تزال في الشرق أعظم منها في الغرب.

ولاشك ان هذه الأديان كلها تبعت في النفس روحانية على نحو ما يقصد بالناحية العقلية والعاطفة منها.

ومن خصائص هذه الروحانية مزجها الطبيعة بما فوق الطبيعة والاعتقاد بأن الله سبحانه سبب كل ما يحدث في العالم من خير وتقرأ الكتب الثلاثة السماوية من توراة وانجيل وقرآن فتراها تكرر أن كل ما في العالم من صنع الله، فهو المدبر له والمنظم لشؤونه حتى أدق الأشياء .

وهو الذي يرسل السحاب وينزل الغيث ويقدر سعادة الانسان وشقاءه وعلى الجملة فإن هذه الكتب وما جرى على منوالها لها تعاليم ومنهج غير التعاليم والمناهج التي نجدها في الكتب الغربية الحديثة.

وقد ادرك أبو هندوا في القرون الوسطى ذلك فألف كتابا في الفرق بين أساليب القرآن وأساليب اليونان، ولا شك أن هذه المناهج المختلفة بين أساليب الكتب المقدسة وأساليب الكتب الغربية لها آثارها المختلفة في الشرق والغرب.

ولسنا ننكر أن الغرب روحانيين مشهوريين مثلسينوزا ومثل ما سمعت به من جمعيات صوتية في جنيف كان يرأسها المرحوم عنايت الله، وقد تضمن المتصوفون من كل الأجناس وأنا اعتقاد في كل إنسان قسبا من هذه الروحانيات يختلف كبيرا وصغيرا شأن الناس في ذلك شأنهم في الحب.

1 ينظر: أحمد أمين ، مرجع سابق.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

والروحاني قادر على الإتصال بالروح الأبدية والسمو إليها، وهو دائما يقول أنه" إذ وصل إلى ذلك رأى مالاعبين رأيت ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر".

والروحاني من هذا القبيل يرى أنه يصل إلى هذا الحد بقلبه لا بعقله، ويرى أن إدراك ذلك بالقلب أقوى من إدراكه بالعقل.

- أنه كان من أثر إنتشار الأديان والتعمق فيها أن قيسست أمور الحياة بمقياس غير مادي، فالعمل في الغرب يقاس بنفعه او ضرره فقط.

أما في الشرق فإنه يقاس أيضا بمقياس خلите وحرمته، برضى الله عنه أو عدم رضاه وقد بلغ هذا النظر بالغرب إلى حد أن نشأ منهج كبير قياس الأمور خبرها أو شرها بمقياس اللاذة والألم.

من أجل هذا كان ترتيب الفضائل في الشرق غيره في الغرب، فالمروءة والسماحة والنبيل والطاعة من أكبر الفضائل في الشرق بينما من أكبر الفضائل في الغرب حفظ المعاد والإقتصاد والصدق في المعاملة.

- أن الناس في الشرق عادة وهذا من أثر الأديان أيضا يقدررون في أعمالهم وغاباتهم في أعمالهم الحياة الأخرى كما يقدررون الحياة الدنيا، فحسب الحساب ما بينالهم من الجزاء الأخرى بجانب الجزاء الدنياوي وأضافوا في أعمارهم الأخرى الى الدنيا، ولاشك أن هذا النوع من الروحانية، أما الغربيون فالدنيا وحدها هي التي تدخل في حسابهم.¹

إن الشرقيون يبينون حياتهم على الإعتقاد بأن هناك عالم آخر المسمى بالعالم الغيب، فيه الجنة والنار، وفيه الملائكة والجن وفيه المعجزات... وكلها أمور روحانية لا مادية، يحار فيها العلم.

1- مرجع سابق، أحمد أمين، ص 139.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

نعم، إننا لا ننكر أن بينا الغربيين ما يبني حسابه على الجنة والنار ، وعلى الدنيا و الآخرة، ولكنهم ليسوا كالشرقيين في ذلك وحتى هذا القدر كانت نتيجة الاعتقادات الدينية التي انتقلت من الشرق إلى الغرب.

- إن من مظاهر الحياة الروحانية في الشرق الإعتقاد بالقضاء والقدر وكرامات الأولياء ونحو ذلك ليس لها نظير في الغرب.

- ما يظهر من أعمال الغربيين عادة من امعان " في حساب الريح، فإن رجحت كفة الفوائد بعد حساب النفقات أقدم على العمل وإلا فلا، ولا نظر" عندهم الى غير الإنسانية أو ضررها فالمصانع الكبيرة لانتاج الآلات الحربية من مدافع وطائرات وغيرها تقوم على مقدار ما تنتجه من الريح ولو أهلكت الملايين من الناس والنظر المادي، فهو لا يبيح إنشاء مصانع آلات القتال لأنها تبيد الإنسانية ولو أربحت مالا وفيرا.

وقد كان غاندي في بعض مواقفه يتحدى بروحانيته العالم المادي كله بقنابله وطائرتة وغواصاته وكثيرا ما كان ينجح وهو الرجل الضعيف الأعزل الذي يعيش على لبن الماعز.

وكثيرا ما نعى المصلحون على أوروبا إفراطها في المادة وعبروا أن ذلك بقولهم :

" إن الغرب قد إختلى توازنهم، فنما عمله ونمت صناعته ونما علمه ونمت كل مرافق الحياة ولكن لم ينمو قلبه" .

وهذا التعبير يساوي ما قلناه من قبل في الحياة الروحانية والمادية ، نعم، إن الروحانية في الشرق بلغ فيها كما بلغ في المادية الغرب فإعتراه كثير من الخرافات والأوهام من تدجيل وتخريف واعتقاد شديد في الأرواح وغير ذلك من الأوهام .

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

ويظهر ذلك أكثر ما يظهر في الناحية التي تشع فيها الروحانية كالتصوف، فنكمن من التصوف بالدجالين، لأن التصوف مبني على الذوق لا على العلم والعقل، وإن بني على الذوق أمكن أن نقوم فيه الإدعاءات الكاذبة والأقوال الفاسدة.¹

ومن النتائج السيئة لهذه الروحانية المفرطة الكسل والقعود على العمل والضعف وعدم الأخذ بالأسباب القوة، مما يجعل حياة الانسان في عزلة، يعيش أكثرهم عالة على بعضهم والحق أنه هناك روحانية صادقة تدعو إلى العمل لا للكسل وتؤمن بالقدر بقدر.

ويظهر أن هذا الفرق بين مادية الغرب وروحانية الشرق تفرقه تفرقة عميقة في ثنايا التاريخ فهم يحدثوننا أن فلسفة الهند من قديم الزمان كانت متجة إلى تحليل النفس الداخلية وتأملاتها وتعدوا في ذلك منطقة الحواس ووقفوا في اكتشاف أشياء كثيرة، أما اليونان فكان اهتمامهم موجها إلى معرفة قوانين العالم الخارجي، وتحديدًا مقام الإنسان في العالم الخارجي.

فكانت نزعتهم خارجية في حين كانت نزعة الهند داخلية، أما الصينيون فلم يهتموا لطبيعة الإنسان الداخلي ولا بالطبيعة الخارجية بل إهتموا بعلاقة الإنسان بالإنسان، وإنبنى على ذلك اختلاف في الفلسفات:

فالفلسفة اليونانية منذ القديم اهتمت بعمل الإنسان الخارجي أكثر من اهتمامها بالإنسان نفسه.

نعم إن بعض الفلاسفة اليونانيون الأقدمون رأوا الإنسان جوهرى روحاني لكن أرسطو حول الفلسفة إلى اهتمام بأعمال الإنسان في الحياة، وتأثرت الفلسفة اليونانية بقول " أن الإنسان حيوان عاقل".

وإذ كان الأوروبيون وراثي الفلسفة اليونانية فقد تأثروا لها وجروا في طريقها.

وقد بالغ الأوروبيون في القرن 17م في الدعوة إلى قهر الطبيعة والتغلب عليها، فالفلسفة الغربية يدعوا إلى الكفاح ضد الطبيعة والفلسفة الشرقية تدعوا إلى مصادقة الطبيعة.²

1- أحمد أمين ، شرق والغرب، ص 141، 140.

2أحمد أمين ، ، شرق والغرب، ص 143.

2-الحوار بين الشرق والغرب:

في سنوات الأخيرة ازداد الحوار المستمر بين الشرق والغرب وأضحى يسمى اطلاقا الحوار (الحواريين الاسلام والغرب) وكأن الإسلام هو الطرف الأول والغرب هو الطرف الثاني في الحوار أو العكس. المتمعن في هذا الاصطلاح يدرك هذا الغرض من اطلاقه، اذ أن الإسلام ثقافيا منطلق واحد يحمل أفكار محددة منشأها كتاب الله تعالى القرآن الكريم وسنة نبيه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. أما الغربيون فهو تجع الثقافات عدة بعضها ينطلق من منطلق ديني كالنصرانية واليهودية، وبعضها ينطلق من منطلق مناقض مع الدين ومحاربة له في الحياة العامة، كالعلمانية الشاملة والشيوعية والاشتراكية والأحادية، ثم في صيغتها الأخيرة باسم العولمة الثقافية وغيرها من الملل والنحل التي تقف طرف آخر في هذا الحوار القائم لأنه مع الإسلام.

الأمل أن يقوا الحوار ويستمر ويتخذ أشكالا سليمة ومتعددة بحسب المقام مع حوارات فردية أو جماعية علمية أكاديمية أو فكرية أو تجارية أو اجتماعية اذ لا يملك المرء اليوم إلا أن يكون طرف في هذا الحوار المستمر، مع أن فكرة الحوار ليست جديدة على هذه الثقافة إلا أنه يستغرب المرء تحفظ بعض المعنيين من الحوار مع الآخر بحجج منها ارتباط الحوار بالتنصير وارتباطه بالتهئية للاحتلال ونحو ذلك من حجج وفتية قد لا ترقى إلى العلمية الموضوعية، وليس لدينا نحن المسلمين ما نخشاه من أن نصل إلى نتيجة مرضية في الحوار، إذ إن المقصود من الحوار ليس النجاح فيه هدفا، بل إن النجاح وسيلة لا غاية وعدم النجاح يعزى نقل المعلومة الصحيحة عن الإسلام وتلقي المعلومة الصحيحة عن الثقافات الأخرى، ليكون هناك إقناع وإقناع¹

أهم من هذا كله أن يقوم الحوار على المعلومة الصحيحة الواضحة، وأن يقوم على الندية بين المتحاورين وأن تكون هناك نقاط تلاق كما تكون هناك نقاط اختلاف، ليكون للحوار مغزى وثمره دونما خوف من الغرب على الشرق الاسلامي أو خوف من الشرق الإسلامي على الغرب، وقد أبدع فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد في حديثه، بل

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص265، 266، 267.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

أحاديثه عن الحوار وطرقه وآدابه وأصوله، ونشر هذا في أكثر من مكان ومقام، فيرجع إليه لما فيه من فائدة مهمة في مجال الحوار بين المسلمين وغيرهم.

أ - الفوقية والدونية:

حوار الأديان قضية قديمة تتجدد مع الزمان، ويزيد من الإهتمام بما ازداد الإقبال على الإسلام فتهب العقائد الأخرى لا سيما النصرانية، في محاولة التركيز على نقاط اللقاء ومعلومة لدينا أن هذا الحوار قد بدأ مع أول هجرة للمسلمين إلى حبشة كما سبق ذكره أكثر من مرة فحاورهم النجاشي حواراً أراد منه أن يصل على الحق، ولذلك عندما وصل إليه آمن بالبعثة وتوفي مسلماً مؤمناً بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قد وفد نجران إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بينه وبينهم حوار انتهى بإسلام بعضهم على الأقل، وكان هناك حواريين موفد النبي صلى الله عليه وسلم وهوقل عظيم الروم، وكل هذه الحوارات مسجلة في سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام واستمر الحوار إلى يومنا هذا في نماذج فريدة يريد منها المحاور المسلم إقناع الآخر بالرسالة، طمعا في إسلامه أو درء شره على الأقل إن أصر على الكفر بالرسالة والرسول عليه الصلاة والسلام الذي يجمع بين الحوارات الفاعلة انطلاق المحاور المسلم من قوة الإيمان بالله تعالى وبالرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم¹

ويكفي أن نتذكر موقف ربي بن عامر رضي الله عنه في قوله لكسرى: " إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"

أما إذا لم ينطلق المحاور المسلم من هذه القوة فإنَّ الأمر لم يعد يأخذ صفة الحوار بل يمكن أن نسميه بأي اسم آخر كالإعتذار أو الدفاع أو التسويغ لأحداث وقتية قد تلصق بالإسلام أو قد تنطلق على أنها من هذا الدين بينما هي ليست بالضرورة منه، وقد تكون منه ولكن

¹مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص268.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

الإعتذار أو التسوية أو الدفاع يأتي لأنها أوامر أو نواه لا تعجب الآخر، فنتقدم بها معتذرين عنها ونحن بصدق نشعر بالدونية في مقابل الآخر".¹

ب- التحفظ:

هناك جملة من الكتاب العرب يتحفظون على فكرة الحوار مع الآخر ممن يختلفون عنا في الدين بل إنَّ أحد المؤلفين وقد وصل به الرأي إلى تحريم التعامل مع فئة أولئك القوم لاسيما المستشرقين منهم، ويرى المؤلف أن التعاون معهم إنما هو من باب الموالاة لهم، ويظهر هذا على سبيل المثال في الطبعة الثانية من كتاب رؤية إسلامية للاستشراق للأستاذ الدكتور أحمد عبد الحميد غراب.

هل الحوار مع الآخر يعني بالضرورة التعاون معه؟ وهل التعاون على الأمور المشتركة مما يدخل في المحذور؟ وهل التعاون المطلوب معه يعني بالضرورة موالاته؟ يبدو أن مسألة الولاية والبراء في هذا الرأي غير واضحة ولا تنطلق من رؤية علمية بقدر ما تنطلق من موقف آني أو نظرة عاطفية لا تكن موقفا إيجابيا مع الغرب على غرار ما دعت إليه بعض الحركات الإسلامية، ويبدو كذلك أن على أهل العلم أن يركزوا على مسألة الولاية والبراء، من حيث حدودهما ومدلولهما، بله مفهومهما.

الحوار الذي يتحفظ عليه بعض المعنيين من المفكرين هو ذلك الحوار الذي يشعر فيه المحاور المسلم بالدونية أمام الآخر الذي يشعر من يحاورهم بأنه على قدر كبير من العلم والمعرفة والتفوق الحضاري.²

ومن ذلك أيضا التحفظ على إنطلاق هذا الحوار بأنه حوار الأديان قد يقتضي الإعتراف الضمني بسلامتها.

وهل حوار الأديان إلا حوار أهل الأديان من قبيل قوله وتعالى: ﴿لِلْقَرآنِ حَكْمٌ وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾؟ هذا ما يثيره الأستاذ الدكتور حسن بن فهد الهويمل في حديثه عن الاستشراق في مجلة المنهل في عدد يعود إلى سنة 1409هـ / 1989م حينما يركز على مشكلة عدم التكافؤ بين المتحاورين،

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص269-292.

2- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص272، 273.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

بسبب شعور طرف منهما بالفوقية على الطرف الآخر من دون شعور الطرف الآخر بالدونية تجاه المحاور.

الخطأ هنا ليس في الحوار ذاته، بل هو في المحاورين بفتح الواو وكسرهما والمحاوِر المسلم مطالب بعدم الهوان ﴿لَا تَهْذُواْ وَلَا تَخْزُواْ وَكُنْواْ أَعْمَلُونَ إِنَّكُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾ [سورة آل عمران الآية 139]

والعلو هنا مربوط بالإيمان لا العلو الموجه بالخطورة والعرقية والجنس البشري، بل العالي هنا هو المؤمن أين يكون وكيف يكون ومتى يكون. وإذا تحقق الإيمان لدى الشخص تحقق لديه العلوّ الذي يفرض نفسه على الآخرين.

إمام المحاورين بعلوّ الأديان هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حينما وفدت عليه الوفود فحاورهم داخل المسجد، وكان بينهم اخذ ورد وسؤال وجواب وحجاج، انتهى في الأخير إلى أن يعلن بعض المحاورين إسلامهم مع بقاء منهم على عنادهم، كما مر ذكره كثيرا في هذه الوقفات، ويبقى أناس على عنادهم ومكابرتهم وتعاليتهم على مر العصور.¹

ثم إنّ وفود سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام قد حاورت الآخر من عظماء الأمم في ذلك الوقت في عقر دارهم من دون أن يشعر الموفد بذرة من الدونية أمام جبايرة الأرض.

تتعرض الجاليات المسلمة المتغربة في مجتمعات المسلمة دائما لنوع من أنواع الحوار وشكل من أشكال الحصول على المعلومات المباشرة من الإخلاص المخلصين في علمهم ونباهتهم وحملهم الهم، فهل يتصور أن يتمتع مسلم مسؤول عن قضية ما عن تبيان حقيقتها التي يعرفها هو، وذلك بحجة أن هناك موقفا غير ايجابي من الحوار؟

ليس هناك ادعاء بإثارة شيء جديد، ولكنه موضوع يتجدد دائما ويتطلع إلى حسم الرأي فيه شرعا أولا، بحيث لا يشعر المحاور المسلم بأي حرج من محاوره الآخر، والحسم قد يعني إسقاط بعض الآراء المانعة للحوار إذا لم يستند على دليل قوي، أو ربما أخطأت في استخدام النصوص دليلا على توجهها.

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص273، 274.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

لقد تعرض الاسلام لحملات من التشويه على أيدي بعض المستشرقين والمنصرين والاعلاميين، وهو يتعرض لهذا في زمننا الحاضر، ولكن هذه الحملات لا تعني أن نتوقف عن الاتصال بالآخر بالتحاور معه وتبيان ما عمي له عن الإسلام وعن دياناته التي ينتمي إليها.

موضوع الحوار يحتاج إلى مزيد من الوقفات، فقد تبين من رصد هذا الموضوع أن هناك كتابات كثيرة من كتب ومقالات عن الحوار مع الآخر، التي تحتاج إلى المزيد من التحليل.

1

ج - الخصوصية:

المجتمع العربي جزء من المجتمع الكبير جدا يتأثر فيه ومنه وهو يؤثر فيه كذلك، بحكم هذه الخصوصية التي يصر المجتمع العربي على التوكيد عليها، رغم المحاولات المتصلة من هذا التوجه، بل والملل من ترديده.

رغم ما قد يقال إنها ليست خصوصية يتفرد بها المجتمع بقدر ما هي قاسم مشترك لجميع من يحملون هم هذه الخصوصية، وهذا صحيح، إلا أن المجتمع العربي يمثل هذه الخصوصية، وهذا صحيح، إلا أن المجتمع العربي يمثل هذه الخصوصية في هذا الزمن أصدق تمثيل، إذا ما قورن بالمجتمعات الأخرى، وهذا سر من أسرار تأثير هذا المجتمع الصغير على المجتمع الكبير جدا.

وهناك خوف من تأثر المجتمع العربي بالمجتمعات الأخرى، لاسيما تلك التي تسلمت زمام الحضارة والنهضة وسارت به إلى درجات متقدمة جدا من العلم والنماء جعلته يخرج التأثير على حساب المبادئ التي يؤكد عليها فعلا وقولا وتبنى ثقافة بديلة تهتم بالدنيا على حساب الآخرة.

حيث إن هذا المجتمع يرغب في النهوض، مثله في ذلك مثل غيره من المجتمعات، وحيث توافرت مقومات النهوض المادية والبشرية، أراد أن ينهل من علم المادة، فلم يكن أمامه إلا أن يطرق المدن الجامعية المتقدمة علما وبحثا.¹

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص274، 275.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

فذهب مجموعة كبيرة من أبناء المجتمع إلى معقل الحضارة والعلم في أوروبا وأمريكا وروسيا ونالت من هناك المؤهلات العلمية العالمية في شتى فنون المعرفة، حتى بعض فروع العلوم الإنسانية أخذت من هناك، وهنا يبدأ التأثير والتأثير، إلا أن الوفود الأولى في معظمها اكتفت بالتأثر والتأثير إلا أن الوفود الأولى اكتفت بالتأثر أكثر من التأثير، الذي لم يتضح بصورة تدعو إلى الفجر إلا في السبعينات الهجرية/ الميلادية عندما كثرت الوفود، وبدأت بوادر الثقة بالذات وبالمبادئ تبرز بصورة أكثر وضوحاً، وقد سبق الحديث عن هذا الجانب في المحدد ذي العلاقة بالبعثات.

ذهبت الدفعات الأولى وفي مخيلتها أنها ذاهبة لمجتمعات مثالية في التعامل مع الحياة، من حيث احترامها للنظام وبعدها عن كل ما من شأنه أن يسيء إلى مجتمع متحضر من الجوانب السياسية والاجتماعية والعلاقات الإنسانية، فأصبحت هذه الدفعات الأولى ترى من أي تصرف في هذه المجتمعات الناهضة مثالا ينبغي أن يحتذى ويطبق في المجتمعات الأخرى، رغم الاختلاف في البيئة وفي الخلفية وفي المنطلق وفي الثقافة وطريقة التفكير المثال يقتضى أن يقاس عليه كل تصرف أو سلوك، فما طابقه فهو الصحيح وخالفه فإن خطأ ينبغي التخلص منه، ولذا نجد أن بعض منا ممن عاش في الغرب يضرب دائماً لك الأمثال بأن القوم هناك يفعلون هذا ولا يفعلون ذلك وبأن النظام (القانون) والنظام العام هناك يسمح بكذا ولا يسمح بكذا.²

وإذ ما برز تصرف هنالـهـب الخاطر إلي هناك، فإن وجد له هناك مثل قبل وإن لم يكن له هناك مثل اعتبر خطوة إلى الوراء، ذلك أن القوم هناك لم يوجد لديهم ما يقرب من التعرف الخاضع للقياس

سواء صرح بعض العائدين بهذا أم لم يصرحوا به، فهو الغالب في الذهن ومسألة التأثير واردة على أي حال، لأن أي مجتمع لا يملك أن يعزل نفسه عن المجتمعات الأخرى، ولا يمكن أن يعد نفسه مؤثراً غير متأثر مهما زعم هذا المجتمع أنه يملك كل شيء. وعليه، فإنه لاجبة

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص276، 277.

2- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص277، 278.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

لمن يرفض التأثير بالمجتمع الآخر، بحجة أنه يخالف مجتمعنا في المبادئ والخلفيات والمنطلقات والثقافة وطريقه التفكير.

ولعل هذه الفئة الراضية للتأثر جاءت مصاحبة للفئة التي أرادت الإلتعاس في الآخر، أي التأثير المطلق في المثال القدوة الذي ما يزال يزداد أنهم هناك يعلمون قضية شيء وقبل أن يصدر الحكم على تصرف أو سلوك يقاس بما يعلمونه ليكون فيه شيء أو لا شيء غفيه ! ومن هنا برزت إزاء هذا التوجه مواقف ثلاثة:

الموقف الأول: موقف المتأثر متأثر مطلقا، ويرى مثالية ذلك المجتمع وضرورة كونه قدوة فقي مجالات الحياة كلها!

الموقف الثاني: موقف الراض مطلقا ويرى خطر ذلك المجتمع وضرورة تجنبه والإكتفاء منه بما ينتجه ماديا بحكم أنه لا غنى عن هذا المنتج ، وإذا يرى هذا الفريق عدم التعامل المباشر معه ويكتفي منه بالتأثير عليه فقط!

الموقف الثالث: والموقف الثالث الذي يحتل المرتبة الوسط، فيؤمن بالتأثر بأي مجتمع أو بيئة.¹

ذلك أنه يملك الثقة بما لديه من مبادئ ومثل ومنطلقات. وثقته هذه سمحت له بالتأثر فيما لا يطغى على ذاتيته وخصوصيته وتميزه كما سمحت له بالتأثر فيما لأنه يؤمن بأن ما لديه نافع ومفيد، ليس له وليئته فحسب، بل للجميع، ولا حق لأحد أن يحجره أو يحجبه عن الآخر، **والموقف الأول (القبول المطلق)** أو التأثير المطلق فيه خطورة واضحة على المجتمع المتميز.

والموقف الثاني: (الرفض المطلق) أو التأثير فقط، فيه خطورة واضحة أيضا على المجتمع المتميز، ذلك أن الأول يميع فكرة التمييز والخصوصية، والثاني يقوقع هذا التمييز والخصوصية ويجعله تميزا وخصوصية حاصرتين.

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص278، 279.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

لم يصدر هذا الموقف من فراغ وليس تأثر ذاتي بالمجتمع الآخر فقط بل إنَّ هذا المجتمع المتأثر به أُملى على المتأثرين مباشرة أو عمليا أنه إنما وصل إلى ما وصل إليه بفضل تخليه عن المبادئ التي كان يقوم عليها لاسيما الدينية منها، ولذا فإذا كانت المجتمعات الأخرى التي لا تزال تعيش حالة من التأخر وتريد النمو فإن عليها أن تتخلص من بعض مبادئها التي يعتقد بالقياس أنها هي التي تحول دون نموّها. وقد قيل في أدبيات الإستشراق صراحةً إنَّ الغرب قد تقدم بفضل تخليه عن نصرانيته والشرق تأخر بسبب تمسكه بإسلامه.

أما أيّلت التنصير فقد قالت صراحة: إن الغرب تقدّم بفضل تمسكه بنصرانيته، والشرق يتأخر بسبب تمسكه بإسلامه.¹

كما سبق التعرض له من قبل، ولأن التنصير واضح المعالم لم تؤخذ مقولته بالقبول، بينما أحدثت مقولة الإستشراق العلماني شيئاً من التعاطف معها، لأن ظاهر المجتمع الآخر متخل عن مبادئه الدينية بخاصة، ولتخليه عن المبادئ أصبح عند بعض الناس قدوة أو مثلاً ينبغي أن يحتذى، الأمر الذي يحتاج معه إلى مواجهة علمية موضوعية تخفف من هذا الإندفاع الذاتي نحو الآخر، بسبب عدم الرضا عن الواقع المحلي وربط أسباب عدم الرضا بالأسلوب الذي تطبق فيه المبادئ هذا كله داخل في مفهوم الحوار العام مع الثقافات الأخرى الذي يتم بأساليب مختلفة، ومنها هذا الشعور بالدونية أمام الآخر، الأمر الذي ينبغي عملياً التخلص منه متى ما بنيت الثقة بالذات القائمة على الوضوح فلي فهم الإسلام والإيمان، اعتقاداً بأنه دين لا كمثل الأديان الأخرى، لا يقف في طريق النمو بل لا يقف في طريق التأثير الموجه والمؤصل.

د- الجدل:

نوقشت رسالة نال بها صاحبها عبد الله بن ع العزيز الشعبي درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية. وكانت حول الجدل بين المسلمين والنصارى في العصر الحديث والجدل نوع من أنواع الحوار المباشر من منطلق قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَوَّلُوا إِلَىٰ هَذِهِ سَوَاءٌ أَمَّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ فَبَيْنَكُمْ﴾ ¹ لَأَنْعَبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا لَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا رُبًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَرَأَوْا

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص279، 280.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

وتَوَلَّاهُ فَقَوْلُهُ وَالشَّهَدُ وَالْأَمْسُطُونَ ﴿ [سورة عمران الآية 64] وللحوار أشكال وأساليب كثيرة، منها المناظرات التي تزعمها الشيخ الداعية أحمد ديدات وبعده الداعية ذاكر حسين نايف.

ومنها الجدل المباشر الذي يدخل في مفهوم المناظرة، ومنها المؤلفات والردود والمؤتمرات والمراكز الدينية والعلمية التي تقوم في المجتمعات غير المسلمة.¹

وجود المراكز الدينية والعلمية غير المسلمة في المجتمعات المسلمة يعد نوعا من أنواع الحوار، الذي يفضل البعض تسميته بحوار الحضارات والثقافات ابتعادا خجولا عن لفظة الدين، لما فيها من الحساسية لدى البعض من غير المتدينين من أبناء المسلمين وغير المسلمين من أبناء الديانات الأخرى.

يظهر أن الحوار الحضاري والثقافي لا يمكن أن يخلو من المسحة الدينية، ذلك أن الحضارات والثقافات القائمة الآن إنما قامت على الدين، وتفوح رائحتها بالخلفية الدينية التي انطلقت منها، رغم تجاهل الدين ظاهرا على الأقل واستعراض الأسماء سواء أسماء الأشخاص أم المدن أم المرافق الحضارية والثقافية أم المنتجات التجارية والطبية يظهر أنه تكاد لا تخلو من خلفية دينية عليه، فإن الحوار قائم بأشكاله المختلفة، والمزعج هنا ألا يدرك المسلمون كنه هذا الحوار، فيكون حوارا من طرف واحد هو المنتج أو المرسل، ويكتفي الطرف الثاني وهم المسلمون هنا، يدور المستهلك أو المستخدم أو المستقبل لتلك المعلومة، ويبدو أن خروج مجتمع ما من المجتمعات وليكن هنا مجتمعا مسلما، عن أطواره في تقاليد وعاداته وسلوكياته، إنما هو أثر من آثار الحوار.

يتضح هذا الموقف أكثر عندما يخرج المجتمع من طور عاشه قرونا من الزمان إلى طور جديد عليه، مطبق في مجتمع آخر يدين بثقافة أخرى ويتبنى حضارة مختلفة وهذا ما نسميه أحيانا بالتغريب الذي يعاني منه المجتمع المسلم، حينما يعمد إلى تبني ثقافة الآخر في كل سلوكياته لخاصة والعامة أو في معظمها، كما مرَّ بيانه في المحدد ذي العلاقة بالتغريب.²

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص280، 281.

2- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص283، 284.

الفصل الأول الرواية العربية و ثنائية المكان

من منطلق هذه النتيجة من نتائج الحوار، وهي التغريب نجد أن الحوار قد يقتصر على أبناء الأمة الواحدة الذين يفترون على فرقتين، فرقة تدعوا الأصالة ونبذ الضار من المستورد وفرقة تدعوا إلى تبني أفكار الآخر وثقافته وحضارته، بحجة أن هذه الأفكار والثقافة والحضارة هي التي أوصلته إلى ما وصل إليه، في الوقت الذي يدعى فيه هؤلاء أ، هذا التخلف الذي وصل إليه المجتمع المسلم والمجتمع غير المسلم من العالم الثالث هو نتيجة لتبنيه الثقافة التي يتبناها الآن يظهر أن في هذا غلوّاً يقود إلى غلو في رفض كل ما هو أجنبي، وهذا ما حدا برابطة العالم الإسلامي بالدعوة إلى عقد لقاء بين العلماء والمفكرين المسلمين سنة 1430هـ / 2009 لتحديد استراتيجية الحوار مع الآخر.

إزاء هذه الأفكار المنشودة حول الحوار صار لزاماً على المسلمين أن يخطوا خطوات إيجابية في هذا المضمار قبل أن يسبق السيف العذل.¹

التكافؤ في الحوار: يقتضي الحوار التكافؤ بين المتحاورين كما يقتضي الاتفاق على المقدمات أو على بعضها على الأقل، ومن الطيب دائماً أن نتحدث نحن المسلمون عن أجمل ما في الإسلام حسب الصياغ، استناداً إلى نص الآية الكريم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ فَذَرُوا دِينَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَةِ﴾ [سورة المائدة، الآية 3]

إلا أن الملحوظ على بعض المتحاورين وليس كلهم تركيزهم على سميحة الإسلام وهذا أيضاً أمر مطلوب إذا عرضت سماحة الإسلام بعيداً عن إشعار الآخرين بأننا ندافع عن ممارسات قد لا تدخل في مفهوم سماحة الإسلام وهي تحسب على أصحابها ولا تحسب على الإسلام قد لا يكفي موقف الذين يريدون الحديث في الحوار عن سماحة الإسلام فيغضون الطرف عن الجهاد مثلاً وأنه كان وسيلة من وسائل التي إنتشر بها الإسلام وبرزت فيه السماحة بأرقى معانيها فيردون على المستشرقين بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف ولكنه إنتشر بها الإسلام وبرزت فيه السماحة بأرقى معانيها فيعدون على المستشرقين بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف ولكنه إنتشر بالإقناع والتأثير والتأثر، ولو قال هؤلاء المحاضرون أن الإسلام لم ينتشر بالسيف فحسب، وإنما إنتشر بالإقناع والتأثير والتأثر، كما هي الحال في شرق آسيا وجنوبها الصحراء الكبرى في قارة إفريقيا ولو قالوا ذلك لإختلفت لغة الحوار ولا وجدت

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص284.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

فيها شيئاً من القوة والكفاية وقد مرت مناقشة هذه الجزئية في هذا المحدود. قد يرى المحاورين أن التركيز على سماحة الإسلام مداعة إلى قبوله في المبدأ ثم يمكن حينئذ الحديث عن الظاهرات التي قد لا ترى في نظر البعض أنها لا تترجم سماحة الإسلام فالجهاد والحدود ونحوها مما تعاني من هجوم صارخ من منظمات وهيئات وأفراد ويظهر أن هذا المبدأ في الحديث يعني تفسيرات عدة أخشى أن يكون منها إخفاء هذه المفهومات ، العملية الإسلامية عن الآخر بسبب الخجل من إبرازها أو أنها إنما قامت بترسيخ سماحة الإسلام وحرصه على الأمن الشامل في كل مفهوماته.¹

مع الخجل قد يأتي سبب آخر يوحي بعدم الإقتناع بهذه الحدود والجهاد أو القوامة أو الحجاب أو نحوها على إعتبار أنها غير مرئية في الغالب، وغير مقتنع بها في الغالب أيضاً من الطرف الآخر في الحوار. وهذا مزلق عقدي خطير يؤثر على إيمان المرأ وقد يؤدي إلى نتائج وخيمة في مسألة الإيمان.

لا يظهر أن هذا السبب قائماً لدى الكثير من المتحاورين في الطرف الإسلامي، لاسيما المعنيين في الحوار من أهل العلم، ولو ظهر على بعضهم منطلق الإعتذار والتسويق والدفاع. وعلى أي حال فليس المراد هنا الحكم على الناس ولكن الملحوظ أن الحوار أضحى ظاهرة تتزايد الحاجة إليها مع هذا العصر الذي تتسابق فيه الأحداث ويظهر إسم الإسلام فيه بصور غير دقيقة مرتبطة غالباً بأحداث غير سارة كالأعمال التخريبية / الإرهابية، ولا تعكس بالضرورة سماحة الإسلام بل ربما لاتعكس بالضرورة وفي كثير من الحالات الفهم الصحيح للإسلام.

عليه فلا بد من تشجيع الحوار والدعوة إليه والمشاركة فيه في أي شكل من أشكاله السلمية المتعددة، ما روعيت في ذلك عوامل الحوار المهمة المطلوبة ولا بد من التأكيد على أشكال الحوارات الودية التي تظهر نتائجها إيجابية قائمة على الإقناع والإقتناع والتأثير والتأثر، بعيداً عن الأشكال الأخرى التي تزيد الفجوة ولا تخدم أياً من الطرفين المتحاورين.

1- مرجع سابق، إبراهيم نملة، ص292.

ثالثا: نماذج من الرواية العربية

1- أمريكا نلي لصنع الله إبراهيم : تقع هذه الرواية ⁽¹⁾ التي صدرت سنة 2004 كبداية مشروع جديد لصنع الله إبراهيم على الرغم من تواصلها بصورة أو بأخرى مع روايتها السابقة خاصة شرف التي صدرت سنة 1997 أما المشروع فهو إعادة النظر في علاقة الإنسان العربي مع الآخر و التفتيش في ملفات التأثير و التأثير به ثقافيا وبالضرورة كبقية أعمال صنع الله إبراهيم ،التتقيب فيما هو سياسي عن طريق العمل بصورة حثيثة على النقاط المفصل التاريخية عن طريق البحث في الوثائق و قراءة بين سطورها وأيضا محاولة الوصول إلى العلاقة الحقيقية التي يمكن أن تربط بين الأحداث التي تدونها الوثائق المختلفة.

وفي هذه الرواية يأتي الحلم الأمريكي كموضوع لصنع الله إبراهيم فهو يسعى لأن يوضح علاقة بين عقليين وفكريين وضميرين في علاقة تتداخل مع جميع العقد الحضارية والثقافية التي تربط بين عالمين يحملان أفكارا خاطئة أو مشوهة عن بعضهما، و ذلك عن طريق تجربة شخصية مركزية في الرواية،وهو أستاذ تاريخ مصري يحصل على الدعوة في نهاية التسعينات ليحاضر في واحدة من الجامعات الأمريكية حول تجربته عالمين مختلفين يولدان أسئلة كثيرة، والعربي دائما مرتبط بأزمة مقيمة في العقلية الأمريكية تخضع دائما لقصف إعلامي مكثف، فتكون إسرائيل هي الضمير الغائب في معادلة العلاقة العربية الأمريكية على مستواها الثقافي، ويتوالد سوء التفاهم بصورة متعددة المستويات.

يأتي عنوان الرواية كتلاعب على جملة " أمري كان لي " لتصور علاقة الإستلاب التي قامت بين العرب و الأمريكيين لملمحة النموذج الأمريكي و حتى في المجال الفكري والبحث (2).

و ذلك ضمن سياق العولمة الثقافية الذي كان يبدو أنه يمضي لمصلحة الأمريكيين في تلك المرحلة وتصبح هذه الرواية بمثابة وقفة مراجعة شاملة أمام العولمة في نسختها الأمريكية التي بدت وحيدة ودون منافس لفترة من الزمن من قبل أن تبدأ موجة من التحولات

(1) - إبراهيم صنع الله ، امريكانلي،2003، دار المستقبل العربي ،القاهرة .

(2) - المصدر نفسه

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

العالمية التي يبدو أنها لم تشغل إبراهيم في سياق مشروعه لرسم فضاءات لإستلاب في العقل العربي مع الثقافة الفرنسية في العمامة و القبعة ومع الإتحاد السوفيتي و التأثير الطاعي علي الفئات المثقفة في الستينات و السبعينات من خلال رواية جليل ورواية برلين69.

2-قنديل أم هاشم ليحي حقي

قنديل أم هاشم هي بالأحرى رواية وليست قصة للروائي يحي حقي ومن أهم أعماله الأدبية، وتتناول الرواية العلاقة بين المجتمع التقليدي بعاداته المتبعة جيلا بعد جيل،والحادثة،الوافدة،ووضع الكاتب في هذه الموضوع.

إسماعيل شاب أنهى دراسته الثانوية،فغادر إلى أوروبا لدراسة طب العيون وعاد من هناك طبيبا للعيون،وفي يوم شاهد و الدقة تقطر عين ابنة عمه الرمداء بزيت أخذ من قنديل مقام[السيدة زينب]، وبما أنه قنديل المقام فإن هذا الزيت مبارك اخذ ابنة عمه وقام بفحص عينيها فوجد أن[الرمد] قد أتلّف جفنيها وأضر مقلة عينيها، ولو حظيت بالرعاية والعلاج المناسبين لتتماثل للشفاء،ولكن الزيت المستخدم وما يطلقون عليه مباركا كان حارا أضر بعينيها (1) .

استهجن فعلة أمه تلك رافعا صوته بأن هذه الخرافات ليست من الدين في شيء وأن عملهم هذا مجرد خرافات ، وهنا يستنكر إسماعيل بعد إطلاعه على الحضارة والمدينة في أوروبا التفكير الرجعي لأبناء بلده التي تجعل من تلك الأفكار تطل كل صغيرة و كبيرة في الحياة ، حتى بلغ الأمر بتلك الخرافات بأن تطل صحة الإنسان وحياته وهذا ما حدث مع ابنة عمه عند تقطيرها الزيت للإعتقاد بأن هذا الزيت مبارك سيعجل بشفاء عينيها وكانت النتيجة هي العكس تماما ليكوي هذا الزيت الحار مقلتيها؛ عند شروع إسماعيل للعمل في عيادته التي قام بافتتاحها في حي السيدة زينب ، هو أحد أحياء القاهرة المكتظة ، اكتشف بأن جميع مرضاه لا يتمثلون للشفاء سريعا وعند البحث عن السبب اكتشف بأن زيت القنديل نفسه التي استخدمته والدته لتقطير عيني ابنة عمه هو السبب ، فقام بتحطيم

(1) - (التصرف،قنديل أم هاشم، ملتزم الطبع والنشر، دار المعارف بمصدر 1119 كور تينس النيل القاهرة، ج ع م الطبعة الثالثة أفرأ،1.

الفصل الأول=====الرواية العربية و ثنائية المكان

القنديل لاعنا بهذا التخلف الذي يسيطر على هذا المجتمع ، من هنا يبدأ الصراع في القصة فقد إبتعد أهل إسماعيل ومرضاه عنه بعد فعلته تلك ، متهمين إياه بأنه يهاجم تعاليم الدين نفسه بفعلته تلك ، وذاً به قد أساء لنفسه قبل الإساءة لأهله ودينه توالى الصراعات في القصة ، حيث فشل في علاج عيني فاطمة وأقام عند - افتالي ليرى المعاملة البذيئة كيف كؤن ، الأمر الذي جعله يعيد حساباته من جديد متأملاً مواقفه التي جنى بها على نفسه ومجتمعه ، وبأن العلم يتوجه الإيمان ، وعاد من جديد إلى عيادته معلناً للعامة بأن في قلبه متسع لقذارة تلك المعتقدات. التي تربي هو عليها وهي من الأساس في أعماقه، كانت عودة إسماعيل لعيادته يرافقه زيت القنديل الذي تمرد عليه ، واستخدمه لمحاولة شفاء فاطمة ، وكان يرمي بفعلته هذه عقد مصالحة مع أبناء حيه، والبحث عن رابط بين العلم الذي تلقاه وتلك المعتقدات التي تسيطر على أبناء حيه ، وهنا توقف عند الحدود التي تفصل الشرق عن الغرب فمن الغرب كان النور والعلم فقط دون تحلي بعادات الغرب ونبذ قيمهم التي تحوي بين سطورها على الدوام الاستغلال و الاستيطان وعند الطرف الشرقي كان عليه التسلح بالدين وأصالة القيم ومحاولة تصويبها شيئاً فشيئاً عن طريق الدين.

الفصل الثاني

صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

أولاً : ماهية المكان

1- تعريف المكان

أ- لغة

ب- اصطلاحاً

2- أنواع المكان

3- أبعاد المكان

4- أهمية المكان

ثانياً: التقاطب المكاني في رواية عصفور من الشرق

1- تمظهرات المكان و تجلياته

2- التقاطب المكاني و انطولوجيته بين الألفة و المكان المعادي

أ- أنطولوجية المكان المعادي التخيلي

ب- أنطولوجية المكان (الألفة، المنشأ الأول

3- الدينامية و المكان (أمكنة الانتقال، الإقامة)

أولاً: ماهية المكان

1- تعريف المكان لغة واصطلاحاً

أ- لغةً: نطلق أو لا من القرآن الكريم في محاولة للوقوف على مفهوم هذه اللفظة لغوياً، إذ وردت في ثمانية وعشرين موضعاً، تحمل دلالات ومعاني متنوعة ومنها:

- 1- منها ما يدور حول (الموضع) أو (المحل) كقوله تعالى: ﴿الْكِتَابِ بِهِ مَرْأَتْكُمْ أَنْتَبَذْتُمْ أَهُلَّكُمْ مِنْكُمْ كَأَنَّمَا شَرُّ قِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية 16]

أي موضعاً أو محلاً شرقياً عن أهلها أو عن بيت المقدس.

- 2- ومنها ما جاء بمعنى (بدل) مثل قوله تعالى: ﴿لَهُمَا الْعِزِزُ الْبَدَلُ شَيْخاً يَكُونُ فَخْذٌ حَاطَماً كَنَّهُ إِنْشَاءً كَ مِنْ الْمَحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية 78]

ومكانه هنا تعني: بدلاً منه.

- 3- بينما وردت في مواضع أخرى بمعنى (المنزلة) كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيُحَدِّثْ إِلَى الرَّحْمَنِ مَدّاً. حَتَّى إِذَا أَهْلُ الْقُرَى اسْتَعْصَمُوا مِنْهُمْ فَيَحْطُوا عَلَيْهِمْ فَيَكُونُوا لَهُمْ ذُرِّيَّةً مِمَّنْ صَدَّ عَنْهُمْ لَا يَلْعَنُ لَهُمُ اللَّهُ فَذَلِكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَ اللَّهُ فَمَا لَهُمْ مُخْرَجٌ مِنَ عَذَابِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَعُوا إِلَى اللَّهِ عِزّاً لَدَفَعُوا مَالَهُمْ بِالْهَدْيِ يَوْمَ ذَلِكَ لَمَّا جَاءُوهُمْ أَذْهَبُوا مَالَهُمْ وَأَصْلَحُوا وَكَانَ الرَّحْمَنُ ذُو الْعَرْشِ الْمُبْدِي وَالْهَادِي إِلَهُ الْغَيْبِ وَالْظَّالِمِينَ﴾ [سورة مريم، الآية 75].

وشر مكاناً أي منزلة.

وبذلك فإن الموضع أو المحل وبدلاً والمنزلة هي أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم⁽¹⁾ أما في المعاجم العربية في مادة كون مكان: المنزل، يقال هو رفيع المكان، والموضع، جمعه أمكنة أو أماكن.⁽²⁾

(1) - غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفاهيمية، مجلة أبحاث لكتلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2،

ص 342-343.

(2) - مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط 4، 2004، مكتبة الشروق الدولية، ص 806.

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

ويقول ابن منظور "توهموا الميم أصلاً حتى قالوا تمكن في المكان وتعددت المفردات اللغوية المرادفة للمكان فمنها: المحل والمأ والحيز والخلاء، ولا تخفى العلاقة بين اللفظ ومادته التي تتفرع منها مجموعة من المفردات الدالة، فاللفظ (كان) الدال على الكينونة في تماسه الإشتقائي مع المكان وخروجها من مادة (كون)، يأتي معبراً عن علاقة المكان بوصفه موضعاً بكينونة قارن فيه هي كينونة الإنسان في المكان الأوّل.

يقول : أبو البقاء الكفوي في تعريفه المكان "هو الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك (الحاوي) للشيء المستقر"، فهو في ثباته يسهل قابليته للإدراك وهو محسوس من كائن يملك الإحساس وهو مستقر بذاته ومستقر بقوة إحساس الكائن أو رغبة الكائن أن يظل المكان مستقراً وليس بالعكس والكائن بهذا الوضع تكون علاقته بالمكان علاقة تضاد والتقاء في آن واحد، تضاد من حيث ثبات الحاوي والمحوي، واللغة حين جعلت " الكائن والمكان والكون والكينونة والتمكن والأمكن"، تجتمع كلها في جذر لغوي واحد (ك و ن) إنما تعضد هذا الالتقاء وتؤسس ما يمكن أن ينتج عنه من علاقات أخذت في التنامي، حتى أصبح المكان واحد من القضايا التي يخرقها الإنسان بالبحث بغية التعمق في المحسوس وتمام إدراكه⁽¹⁾

ومقابل مصطلح المكان في اللغة الفرنسية (le lieu) وفي اللغة الانجليزية (the place) ومن خلال ترجمة ومعنى (lieu) في قاموس عربي فرنسي، نجد الجذر

*أبو البقاء الكفوي هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الملقب بأبي البقاء. يُعد أبو البقاء من قضاة المذهب الحنفي. ولد في مدينة كَفَّه بالقرم. درس الفقه وعلوم اللغة العربية، وضيع فيها. واستلم الإفتاء والقضاء في مدينته بعد موت أبيه. ثم استلم القضاء في القدس وفي بغداد. قام السلطان محمد خان بنفيه إلى مدينته كفّه، فأقام فيها عَلَمًا، ثم جُلِبَ بعدها إلى إسطنبول واستلم القضاء فيها. (نقلا عن الأعلام للزركلي)

(1) - مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، ص. 59

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

الأصلي لكلمة Lieu بمعنى مكان وتعني أيضا الحيز، محل، مكان، موضع، موقع⁽¹⁾، أما المصطلح الإنجليزي The place بمعنى المنزل محل إقامة المواطن⁽²⁾

ومن لهيتين لنا أن المعنى اللغوي للفظه المكان عند العرب والغرب بنفس المعنى مع بعض الاختلاف الطفيف، فلا يخرج معناه عن معنى المحل والمنزلة والحيز والموضع والموقع.

أ- اصطلاحاً لقد إحتل المكان حيزاً كبيراً في شعرنا العربي، في المقدمات الطليّة وفي وصف الطبيعة الجامدة والمتحركة، فإنّه لم يحظ بدراسات هامة في أدبنا النثري⁽³⁾

وردت تعاريف كثيرة لمصطلح "المكان" قديماً وحديثاً التقت في بعض الأحيان وافترقت في أحيان أخرى، لما لهذا المصطلح "المكان" من دلالات، فاقترح العديد من الميادين الوفيّة الأدبية والعلمية، الفلسفية والفقهية، فالجرجاني قد بيّن بأنّ المكان عند الحكماء هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده .

ويعتبر "أفلاطون" هو أول من استعمل (المكان) استعمالاً اصطلاحياً عندما عدّه حاوياً قابلاً للشيء، وكما كان للمكان أهمية كبيرة عند الجغرافيين، كذلك نجد التاريخ لا يخلو منه، ولقد ارتبط به ارتباط الروح بالجسد، فالأحداث التاريخية لا تنفصل عن الأماكن والمواقع التي تجفّ فيها، إذ أنّ المكان هو الجغرافيّة والتاريخ معاً، أو بتعبير أدقّ أنّ الجغرافية مسكونة بالتاريخ، وبذلك تدرك العلاقة بين التاريخ والمكان من خلال صلتها بجغرافيته⁽⁴⁾.

(1) - [http://www.almany.com/ar/dict/a fer/lien](http://www.almany.com/ar/dict/a%20fer%20lien) .

(2) - [http://www.almany.com/ar/dict/a en place](http://www.almany.com/ar/dict/a%20en%20place) .

(3) - محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005 ص27.

(4) - غيداء أحمد سعدون شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له، دراسة مفهوماتية، مجلة أبحاث لكلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد 2،

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

وفي القرن 19 اهتم الروائيون اهتماما بالغاً بالمكان بمعنى أن حددوا العالم الحسي الذي تعيش فيه شخصياتهم وجسدّ دوه تجسيدا مفصلا، وكان لهم في ذلك عدة أساليب وأغراض من أهمها أسلوب الوصف⁽¹⁾.

وهكذا يتضح أن مفاهيم المكان قد تعددت في الدراسات النظرية الفلسفية والعلمية تجلت أهمية المكان كمقولة **قفيلة** أو لا ثم كمقولة علمية ثانيا، ثم كمكون جمالي يتدخل في بناء أي عمل فني سواء أكان أدبيا أو تشكليا، وقد تأثرت الكثير من الدراسات الأدبية بهذه المناهج العلمية والفلسفية على صعيد دراسة بنية المكان في نصوص الأدبية⁽²⁾، والمكان ليس عنصرا زائدا في الرواية، فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل الروائي كله⁽³⁾.

2-أنواع المكان: تعتبر دراسة "غالب هلسا" للمكان في الرواية العربية هي أولى الدراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا مكانيا مهما في الرواية، وقد تطرق الباحث إلى علاقة التأثير المتبادل بين المكان والسكان، وبين أن المكان ليس ساكنا بل هو قابل للتغير بفعل الزمن، وقد صنف المكان في ثلاثة أنواع ثم أضاف المكان الرابع، المكان المعادي تأثر بدراسات (جمالية المكان) لغاستونباشلار التي عرف بها بنفسه⁽⁴⁾.

أ-المكان المجازي أو التخيلي: وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية حيث نجد المكان ساحة للأحداث مكملها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي، إنه سلبى، مستسلم يخضع لأفعال الأشخاص⁽⁵⁾، حيث يمثل خلاصة تجاربهم وسلوكاتهم فهو ليس رقعة جغرافية محدودة المعالم بأبعاد هندسية فحسب إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أبقى مكانا لامباليّا، ذا أبعاد هندسية وحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز. إنه نأ ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود

(1) - سيزا القاسم، بناء الرواية ص110.

(2) - لونيس بن علي، الفضاء السردي في الرواية الجزائرية، رواية الأميرة الموريسكية لمحمد ديب أنموذجا، مقارنة بنوية سردية، طر، 2015، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ص221.

(3) - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، طر، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1990، ص33.

(4) - غاستونباشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، دط، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص31.

(5) - محمد عزام: شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2005 ص 111.

الفصل الثاني **صورة المكان في رواية عصفور من الشرق**

في حدود تتسم بالحماية [...] إنَّ مكان الكراهية والصراع لا يمكن دراسته إلاَّ في سياق الموضوعات الملتهبة انفعاليًا والصور الكابوسية. حين نتذكر البيوت والحجرات فإنَّنا نتعلم أن نسكن داخل أنفسنا. (1).

ب-المكان الهندسي: وهو الذي تصوره الرواية بدقة محايدة، ستتقل أبعاده وجزئياته، وتعيش مسافاته من دون أن تعيش فيه (2) ويقصد به العوالم المختلفة مثل البحر، المستشفى، المقهى.

المكان كتجربة معاشة في الرواية: أنَّ الفضاء الأدبي يتميزه عن باقي الأفضية يقطع كلياً مع فضاء العالم الخارجي مع الكون المعيشي (3)؛ ذلك أنَّ الفضاء المتمثل في نص أدبي ما يكشف عن إيديولوجيا معينة تفرض رؤية خاصة للمشهد الطبيعي (للمدينة، للمسافات) وليس لأنه يتطابق أو يختلف عن الفضاء المرئي، لكن نظراً لمنطق الانخراط في الخطاب الشامل قراءة الفضاء لا تكون إلاَّ بها هو وجود ذاكرة وعلاقة وأمكنة .

ج-المكان المعادي: هو مكان الكراهية والصراع، هو فضاء ملتهب بالانفعالات والصور الكابوسية يحمل دلالة قمعية بوصفه فضاء يفتقد إلى الشرط الإنساني تتحقق فيه أقصى حالات العزل بالمعنى الذي أورده "ميشيل فوكو"، ومصادرة الحركة وتدمير الذات تتخذ هذا المكان صفات المجتمع الأبوي بهرمية السلطة في داخله الموجه لكل من يخالف التعليمات وتعسفه الذي يبدو وكأنه ذو طابع قذري (4)

يقيم الإنسان في هذه الأمكنة المعادية تحت ظرف إجباري ضاغط كالمناخ والسجون والمعتقلات والأماكن الخالية من البشر وأماكن الغربة (5)

(1) - غاستونباشلار، مرجع سابق، ص 31.

(2) - حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 39.

(3) - حسن نجمي المرجع السابق ص 40

(4) - غاستونباشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلساء، ط، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 311.

(5) - سيرى الجنائي، جريدة العرب، الأربعاء 29/07/2015.

الفصل الثاني **صورة المكان في رواية عصفور من الشرق**

د-المكان اللا منتهي: ويكون هذا المكان بصفة عامة خاليا من الناس، فهو أرض ممتدة على اتساع كبير لا تخضع لسلطة أحد مثل الصحراء، البحر، هذه الأماكن لا يملكها أحد وتكون سلطة الدولة بعيدة عنها فلا تستطيع أن تمارس الدولة قهرها، ولذلك تصبح أسطورة نائية⁽¹⁾، ما دلالة الملكية والإنتماء والقيمة المتضمنة للتجارب شكل المكان وتضفي عليه القيمة الفنية الشيو ع والإنتماء فلا دلالة إنشائية له، لذة المكان لا يكتسب قيمته بسببها⁽²⁾.

3-أبعاد المكان

أ-البعد النفسي: لاحظ باشلار أن " القارئ الذي يقرأ عن غرفة ما، سيتوقف وهو يقرأ ليغوص في التفكير في أيامه الماضية فتبرز القيم الأكثر تداعيا، لدرجة أن القارئ العادي لا يقرأ ويحس غرفتك، لكن يتقبل ويحن لغرفته هو، وهنا يتجلى البعد النفسي للمكان، باعتبار أن أبرز ملمح يمكن إستخلاصه من طروحات باشلار هو التشديد على ما سماه "مخطط التحليل (To Analyse)"⁽³⁾، وهو منهج التحليل الطبوغرافي، والذي يعني الدراسة النفسية والنظامية لمواقع من حياتنا الخاصة ويعتمد هذا المنهج على قراءة المكان باعتباره موقعا تتحقق فيه تجربة إنسانية في الحياة مما يكسبه هذه الكثافة النفسية⁽⁴⁾.

إن الأشياء هي التي تشكل المكان وانطلاقا من هذا التشكيل الجغرافي المدرك من طرف الإنسان، لقد يألفه أو ينفع منه، فيكشف عن أغوار النفس الإنسانية، البعد النفسي هو ذلك البعد العاكس لما يثيره المكان من إنفعال في نفس الذات المتواجدة فيه.⁽⁵⁾

ب-البعد الجغرافي: إن مفهوم الجغرافيا المكانية تعني به حدود التضاريس المكانية للنص الحكائي من حيث حيز المكان الجغرافي في النص وحيز التتابع المكاني له الرؤية الفكرية المطروحة من طرف الكاتب وعلاقة كل منهما بالشخصية والحدث واللغة،

(1) - محمد الزموري، المرجع السابق ص19.

(2) - صفاء أحمد قنيدري، التقاطب المكاني في القصة القصيرة، قراءة في (ظنون وراء الأشجار) لرزان مغربي، المجلة العلمية لكلية التربية،

جامعة مصراته، ليبيا، المجلد الأول، العدد5، 16 يونيو 2016 ص44.

(3) - لونيس بن علي، الفضاء الفضاء السردي في الرواية الجزائرية، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ص24.

(4) - المرجع نفسه ص25.

(5) - مراد عبد الرحمان مبروك، جيولوجيا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الوائي نموذجاً، ط1، دار الوفاء، 94-95 الإسكندرية، مصر، 2002،

الفصل الثاني **صورة المكان في رواية عصفور من الشرق**

فالتضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي سواء أكانت واقعية أو فنية وتتمثل في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي وهي تنتظم في علاقاتها ببعضها في شق معين في النص⁽¹⁾.

والبعد الجغرافي يدخل في تشكيل الأشياء للمكان بوصفها عناصر تشكل جغرافية المكان المتخيل، وينظر لها من زاويتين: الأولى تأثيث المكان بالعناصر المشكلة الجغرافية والثانية علاقات الداخل بالخارج جغرافيا، العناصر المشكلة للأثاث تؤدي وظيفة الإنسان والمكان وتتجاوز الوظيفة الأولى لها، وتكتسب وظيفة أخرى غير التي صنعت من أجلها⁽²⁾.
ج- البعد الهندسي: لقد برع المبدعون العرب في رسم الحيز (المكان) الأدبي منذ عهد المملوكات في زمن الجاهلية وكتاب المقامات وحكاية الحكايات لقد حلقوا كل تحليق في رسم الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية أو المقامة وتمثل إحياء المقامات في الأسواق والمطاعم والمساجد ومواقع العمران⁽³⁾، ففي الرواية الشهيرة (السيدة بوفاري) يقيم بلوفاري عمله الروائي على وصف الملامح وتحديد الحيز (المكان) تحديدا دقيقا ورسم معالمه رسما واضحا، أو رسما معياريا، مما يجعل القارئ يحس بحقيقة الحيز وواقعيته تاريخيه جميعا

د- البعد الفيزيائي: كثيرا ما ربط النقاد بين الرسم والأدب من حيث الأدب لون من التصوير وهذه العلاقة ملتصقة بالوصف على وجه خل، حيث أن الروائي يحاول تجسيد مشهد من العالم الخارجي بواسطة الوصف في لوحة مصنوعة من الكلمات، وينظر إلى الحياة الحديثة بعين الرسام الحاذق الذي يحسن ملاحظة العلاقات بين الأشكال والألوان والحركات والظلال والضوء⁽⁴⁾، ذلك أن الروائي أثناء بناء معمارة الفني يستثمر الفيزياء وتشكيلاتها في تشكيل مكانه المتخيل، وتعد التظاهرات الفيزيائية للمكان غاية الروائي منها تشكيل الظاهرة الجمالية للمكان على اختلاف أبعاده.

(1) - المرجع نفسه ص 68.

(2) - مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، دراسة جماليات المكان في السرد العربي، ص 94-95.

(3) - ع، المالك مرتاض، نظرية الرواية، بحث تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 130.

(4) - سيزا قاسم، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984، ص 155.

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

هـ- **البعد الزمني والتاريخي:** الزمن والمكان في العمل الأدبي لا ينفصلان فمكونات الفعل الأدبي لا تقدم في النص إلا عن طريق تواجدها في الزمان والمكان في أن واحد، كما عبر عن ذلك ميخائيل باختين الذي يقول: ما يحدث في الزمكان الفني والأدبي هو إنصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص، حيث يتكثف الزمن هنا ويتراقص يصبح شيئاً فنياً مرء الدم، ويتكثف المكان أيضاً، ويندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثاً أو جملة وتتكشف علاقات الزمان في المكان والمكان يدرك ويقاس بالزمن، هذا التقاطع بين الإمساك وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني⁽¹⁾ وهكذا يندمج الزمان والمكان ويتكاثفان بالعمل الأدبي في جملة من الأحداث التاريخية.

و- **البعد العجائبي:** إن الفضاء العجائبي يتخذ صفات توائم الطبيعة المرعبة أو المعجزة التي تخضع لرؤية الراوي للوجود وانطلاقاً من دلالة اللامعقول والغاري والحارق والأحداث فوق الطبيعية التي تحتاج إلى أمكنة توائم طبيعته المرعبة أو المثيرة للتساؤل وتتنوع تلك الفضاءات على الفضاء المغلق كالفضاء المفتوح⁽²⁾.

ز- **البعد الاجتماعي:** إن قيمة المتخدم في الفضاء الأدبي لا يجب أن تشغلنا عن قيمة المرجعية وعن إسهابه في تناول مستويات معينة للعيش بما هو فضاء في عمقه وجوهره ولا يتعلق الأمر بأي حال إدماج للمرجع في العلاقات الفضائية للنص الأدبي. ذّ ما يتعلق أساساً بحالة جغرافية تستحق تأملاً عميقاً خاصة في وضع حضاري ثقافي وتاريخي⁽³⁾، المجتمعات البشرية تسكن في أمكنة مختلفة فهي في تناميتها تضع القوانين المنظمة ويكون لها عاداتها وتقاليدها ولغتها وسمات أهلها وبذلك يكون لها كبير الأثر في أفرادها ومن ينظمون إليها من مجتمعات أخرى⁽⁴⁾ مكان بعده الاجتماعي الذي يجعل من المساحة الكونية للمكان مساحات بشرية محددة بسمات اجتماعية تجعل لها بحق شخصية اجتماعية لها ملامحها المميزة

(1) - محبوبة محمدآبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة دمشق، 2011،

ص124.

(2) - مفيد نجم، تجليات العجائبي، الملحق الثقافي، جريدة الإتحاد، 12 أكتوبر 2011.

(3) - حسن نجمي، شعرية الفضاء السردي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص39-41

(4) - مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، دراسة جماليات المكان في السرد العربي، ص130

الفصل الثاني **صورة المكان في رواية عصفور من الشرق**

والفارقة عن غيرها⁽¹⁾ والفوارق بين المجتمعات تظهر من خلال محددات معينة كاللغة، العادات والتقاليد والمعتقدات...

4- أهمية المكان يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة لا لأدّه أحد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأدّه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات وما بينهما من علاقات ويمنحها المناخ الذي تتفعل فيه، وتعبّر عن وجهه نظرها ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية والحامل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف⁽²⁾.

إنّ المكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً ويتضمن معاني عديدة، بل إنّّه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله⁽³⁾ إنّّ المساحة التي تقع فيها الأحداث والتي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي، الرواية رحلة في الزمان والمكان على حد سواء. كما يرى الدكتور ع. المالك مرتاض لم يكن قط وقفاً على الأدب وحدهم وما كان ينبغي له أن يكون كذلك، بل هو مظهر يمثل لكل الذين يتعاملون معه بالتفكير، والقلم والريشة والصورة جميعاً، ولكن كان الأدب هو الأصل في التفكير وفي الخيال في التصوير وفي كثير من مظاهر الإبداع، فإنّّه قد يكون هو المجال الذي يتبنى فيه الحيز ويتمكن بامتياز⁽⁴⁾.

(1) - المصدر نفسه ص 130

(2) - أحمد زياد محبك، جماليات المكان في الرواية، ديوان العرب، الجمعة 14 سبتمبر 2018

(3) - حسن بحر اوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1990، ص 33

(4) - ع. المالك مرتاض، نظرية الرواية، بحث تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، 1988، ص 133

ثانيا: التقاطب المكاني، في رواية عصفور من الشرق:

1-تمظهرات المكان وتجلياته: المكان من العناصر الأساسية في بناء النص الأدبي بوصفه "بنية تعبر عن الوجود الإنساني، إهتمام الإنسان به نابع من حاجته إلى إدراك العلاقات الحيوية في بيئته، وإلى أن يظفي معنى ونظاما على عالم من الوقائع والنشاطات الحياتية⁽¹⁾، لذا يكون المكان جزءا من تكوين الإنسان الذي توجد فيه الأشياء وتتحرك داخله⁽²⁾ وبشكل المكان الأرضية التي تتصارع فيها الأحداث المرتبطة بالزمن عبر تفاعل دينامية الشخصيات⁽³⁾ لأنَّ الشخصيات تحتاج مكانا لحركتها والزمن يحتاج مكانا يحل فيه ويسير منه ، والأحداث لا تحدث في الفراغ⁽⁴⁾" الممثلة المكان البؤرة المركزية التي يتوهج منها البناء القصصي بوصفه "القاعدة المادية الأولى التي ينهض عليها النص حدثا وشخصية وزمنا والشاشة المشهدية العاكسة والمجسدة لحركته وفاعليته⁽⁵⁾ فمحسن منذ قدومه باريس راح يجول في أماكنها ومواطن الفن فيها، فكان ميدان الكوميدي فرانسيز أول محطة له في فرنسا وشوارعها مارا بمقهى الريجانس .

مطر غزيز، قد ألجأ الناس إلى مظلات المشارب والحوانيت، وإلى الحيطان وأساسى البيوت ومداخل الميطرو... ولم يبق في ميدان الكوميدي فرونسيه غير مياه تتدفق من الميازيد، وسيارات تخوض في شبه عباب...⁶

ويسهم المكان في تشكيل الإطار العام لهيكلية مرتسمات خبايا النص وغاياته، كونه "يضمن التماسك البنيوي للنص الروائي، من حيث جملة العلاقة النصية التي ينسجمها مع قوى

(1) - الوجود والقضاء وقت العمارة، كريستيان نوربير غشولز، ترجمة: سمير علي، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد 1997م: 9

(2) - ينظر، دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمان منيف، محمد شوابكة، مجلة أبحاث اليرموك، المجلد "9" العدد (2) لسنة 1991 م 10-11

وينظر فلسفة العلو (الترانسرس)، شيروفة نقله الى العربية ، عبد اغفار مكاي، القاهرة 1986م: 179

(3) - ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي: دراسات نقدية، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة ط1، 1986 م: 151

(4) - قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، صلاح صلاح، دار شرقيات، ط1 القاهرة 1997 م: 12

(5) - مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية من التأسيس إلى التجنيس، نجيب العوفي، المركز الثقافي العربي، ط1 الدار البيضاء، 1987 م:

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

النص (زمن، شخصية، رؤية....) فلا يمكن إدراك الزمن إلا من خلال المكان وحركته، وصفه للارتباط الجدلي بينهما، فكل منهما يفترض الآخر، ويتحدد به⁽¹⁾.

وبذلك يلتحم المكان مع بقية عناصر السرد، والأحداث والرؤية السردية⁽²⁾ إذ يمثل " الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتعامل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي لابد من أن يتوفر على هذا العنصر ما دام فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه من خلاله وبواسطة آلياته وقوانينه⁽³⁾ وتبدو أهمية المكان جلية عندما يعبر عن نفسه ويتمظهر " من خلال أشكال معينة، ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحيانا علة وجود الأثر⁽⁴⁾، فالمكان في العمل الأدبي بصفة عامة ليس مجرد إطار للأحداث وحيث للشخصيات، وإنما هو عنصر حي وفاعل في هذه الأحداث الشخصيات⁽⁵⁾ لذلك تسعى الدراسات الحديثة تركيز على تقانة المكان بوصفها " من الاستراتيجيات النصية المهمة التي تلجأ إليها الكتابات الجديدة في الآونة الأخيرة، إذ نجد هذا الاتجاه قد صدر في أكثر من عمل من الأعمال التي تنتسب إلى الكتابات الحساسة الجديدة كان الأدب يحاول أن يخلق رواسي جديدة، بطرح الثابت في مواجهة المتحول، إذا المتشوه الذي يؤدي إلى التغير السريع بهويته وشخصيته، المكان يتميز بدرجة واضحة من الثبات النسبي الذي يساعد (الأنا) على التعرف على ذاتها ويظهر في حمايتها من عواصف التشتت والضياغ⁽⁶⁾ وبذلك يتجلى المكان في رواية توفيق الحكيم (عصفور من الشرق) لمعالجته لتلك العلاقة والصراع الذي يجري ومازال بين حضارتين مختلفتين متضادتين هما الأنا العربي المتمثل في الحضارة الشرقية مصر والآخر الغربي المتمثل في فرنسا في ظروف الصدمة التي نشأت

(1) - شعربة المكان في الرواية الجديدة-الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً، خالد حسين حسين كتاب الرياض، العدد(83)، مطابع مؤسسة

اليمامة الرياض 2000 (5)

(2) - بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) حسن بحرواي، المركز الثقافي العربي ط1، بيروت لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 1990م 26

(3) - جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحة الروائية، مدارات الشرق لنيل سليمان ، محمد صابر عبيد ودسوسن هادي البياتي، دار الحوار

للنشر والتوزيع ط1 اللاذقية 2008م، 229

(4) - عالم الرواية رولان بورنوفولبييه، ترجمة: نهاد التركلي، مراجعة: فؤاد التكرليد، محسن مهدي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1 بغداد، 1991 م: 92

(5) - - ينظر: المكان الروائي، عبد الحميد محادين، مجلة البحرين الثقافية، العدد (30) لسنة 2001 : 28

(6) - حول محطة سكة الحديد: لإدوار الخراط، الحساسية الجديدة واستخدامات المكان الأدبية، د. صبري حافظ، مجلة الأقلام، العدد (11، 12) لسنة

الفصل الثاني **صورة المكان في رواية عصفور من الشرق**

عند بداية النهضة واكتشاف العرب لهول ما وصلت إليه الحضارة الغربية التي قطعت أشواطاً بعيدة في الرقي والتقدم .

في حين أنَّ العرب ضلوا قابعين في مكانهم ولم يغيروا من حياتهم لمدة عصور طويلة وقد شكل هذا الاكتشاف زعزعة لحياة الإنسان العربي الذي أصبح يحس بالدونية من مكونات تلك الحضارة ليفهمها ويعرف حقيقتها وكيف يمكنه التعاطي معها، وكان توفيق الحكيم أول من طرق الباب لتلك العلاقة روائياً ليفتح هذا الباب الذي طرقه إلى تجارب أخرى تم ذكرها سلفاً أمثال رواية موسم الهجرة إلى الشمال وغيرها من النماذج السابقة، ورغم الإنتاج الروائي الضائع عند توفيق الحكيم إلاَّ أنه استطاع من خلاله أن يبين موقفه ووجهته ورسالته التي يحملها وتبقى رواية عصفور من الشرق النموذج الأول والرائد في رصد العلاقة بين الشرق والغرب أو بالأحرى في تجسيد ثنائية (شرق، غرب، المادة، الروح) التي أثبت فيها شرقيته وهويته من خلالها مثل الشرق بكل روحانيته بكل براءته بكل درجات الصدق والنيل والسمر الروحي والدليل على ذلك عنوان الرواية عصفور من الشرق وكل ما يحمله من معان يتألف هذا العنوان من عنصرين أساسيين أو كلمتين عصفور ثم شرق ومعروف عن عصفور إلى كل ما هو جميل أما الشرق فهي كلمة تحدد امتناحه المكان ومن تم الحضاري هو عصفور شرقي يحمل في أجنحته وفي صوته روح الشرق⁽¹⁾.

هذا هو عصفورنا الشرقي المهاجر، كيف سيكون حال فضائه الذي سيخلق فيه؟ هل سيتقبله بكل واقعه ويذوب فيه أم يجد فيه بيئة (مكان) غير ملائمة لاستقراره فيعارضه أو يقف موقفاً وسطاً بين هذين الموقفين؟

2- التقاطب المكاني وانطولوجيته بين الألفى و المكان المعادي: تبرز أهمية المكان في توضيح مسار الأحداث عبر الدور الذي تقوم به الشخصيات داخل بنية المكان، إذ يقوم التقاطب الميتافيزيقي على فكرة التمرکز الوجودي أو اللا وجودي فنحن لا نستطيع تصور أو التفكير بإحدى الأحاديث كالخير والحب مثلاً من دون أن تكون حدود الشرق أو الكره مرسومة لنا في أدنى تمثلاتها المشكلة بصورها من هنا نرى أن المفاهيم المذكورة تنعكس في

(1) - مصطفى قاسي، البطل المغترب في الرواية العربية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه دولة في الأدب العربي تحت إشراف عبد الله

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

العمل الأدبي بوصفه أحد النشاطات الفكرية⁽¹⁾، فمحسن رغم تواجده الجسدي في باريس (منزل ليرة كور بيفوار)، إلا أنه بقي مرتبطاً روحياً بموطنه الذي قدم منه مصر، جلس محسن كعادته كل صباح في مائدة المطبخ، في المنزل الذي يقطنه أمنا شر البرد القارس في الطريق... وقد وضع على رأسه قلسوة مصرية من الكيستور²

وكذا النشاطات الإبداعية التي تحفز العقل أثناء التفكير في إحدى الأحاديث، لأن مفهوم التقاطب.... تقنية إجرائية أثبتت خطوبتها وأهميتها في الكشف عن دلالة الكثير من الأعمال الأدبية التي تتعامل مع المكان تعاملًا شاعريًا ومن هذا المنطلق، سنعتمد على تقنية التقاطب بين الأمكنة لتطويع موضوع البحث وفتح في إمكانات التحليل⁽³⁾ ويعرف التقاطب بالتقابل بين مستويين من مستويات عنصر المكان وتبيان حال الشخصيات في مكانين المتقابلين وما يعترضهم، إذ ينعكس بصورة واضحة على أداء الشخصيات لذا سمي تقاطبًا، ويقع المكان في أحد تمبهراته تحت تأثير هذه التقاطبات التي تسهم في تشييد الإتساق المعرفية والثقافية بحسب رؤية السارد لها، عبر الأمكنة الموظفة النص الأدبي التي تمتلك دلالات وإحساءات مؤثرة في تظهر الشخصيات ودورها في رسم الأحداث التي تدور في هذه الأمكنة، فضلًا عن العلاقات التي تأسست وفقًا لإعتبارات ثقافية وتاريخية ونفسية ربطت بين الذات الإنسانية وواقعها، لا تتشكل بعيدًا عن إنتمائها الجغرافي المعاش الذي يضمن لحمتها وكيانها بحيث تجعل الملتقى يسهم في تشكيل الحيز المكاني بوصفه رأيًا وسامعًا وقارئًا لعالم متخيل⁽⁴⁾

وتسهم التقاطبات المكانية في استيعاب منظومة المفاهيم الكلية والجزئية التي يشكلها النص الأدبي وهذا يأتي عبر إضفاء هندسية مكانية جديدة تتجسد فيها "العلاقات والتوترات التي تحدث عند اتصال الراوي والشخصيات بأماكن الأحداث، ومن الملاحظ أن هذه التقاطبات أو الثنائيات الضدية تنزّل مع المنطق والأخلاق السائدة مثلما تتوافق مع الآراء

(1) - ينظر: المكان في روايات فاتح عبد السلام، جعفر أحمد عبد الله الشيخ عبوش، رسالة ماجستير، بإشراف، د. عمار أحمد الصفار، كلية الآداب،

جامعة الموصل 2011 م 138.

(2) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه، ص 25.

(3) - المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمان منيف، صالح ولعة، عالم الكتب الحديث، ط1 إربد، الأردن، 2010م، 66.

(4) - ينظر: مدن مرئية انثروبولوجية المكان في جنة النزاع، شعر ياسين طه حافظ إعداد: حميد جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة العراق، بغداد

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

السياسية التي تعتقها"⁽¹⁾ إذ تنشأ الثنائيات التي بدورها تشكل نوعاً من التضاد الفعلي (كما جاء في رواية عصفور من الشرق).

إذ كانت أوروبا أو باريس هي الموطن الجديد الذي احتضنت (محسن) بعد أن قرر الإغتراب لأجل الدراسة ومن خلال مكوثه في منزل أسرة كوربيفوار في الريف لا بد أن تكون له رؤية خاصة اتجاه ذلك المجتمع الغريب عنه والمخالف في نفس الوقت لقوانين بيئته الشرقية في شوارع باريس في مقهى الدوم بحي مون بارس حيث اكتشف الحياة الغربية متنكراً حياته مع عائلته بميدان مسجد حي زينب وهذا الانتماء الشرقي أكسب (محسن) لقب العصفور الشرقي.

....لو لم يكن هذا الشارع من رخام، لولى ساعتها هاربا هو وعروسه إلى أقرب قهوة، وتركاك وحدك، وسط هذه المياه!

ولم ينتظر الفرنسي جواباً من صاحبه ، بل جذبته إلى مظلة قهوة أرجونس القريبة، ثم نظر في وجهه، فوجد فمه يتحرك ...، فصاح به أندريه:

تأكل بلدًا؟....

نعم...وفي شوارع باريس؟ ..

آه ايها العصفور القادم من الشرق!.. في مصر نسميه (عجوة) ...هذا النوع من البلح:

إنني أتخيل نفسي الآن في ميدان المسجد في حي السيد زينب؟..

وأتخيل هذه النافورة...وذلك (السبيل) بنوافذه ذات القضبان النحاسية ...²

الذي تبدو معالم اغترابه واضحة في الرواية كأن يقول مثلاً لاندرية أنَّهُ دائماً في قفص وإهدائه الببغاء (طُـر) لسوزي له دلالة أيضاً، حتى أنه كان يعاني دائماً ويقول بأنَّهُ

(1) - المكان ودلالته في رواية (مدن الملح): 45.

(2) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه، ص 15.

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

سجين الحب وكل هذه المعاني تتظافر معظمها لتثبت الانتماء الشرقي لمحسن ومن الواضح أن الحضارة العربية ظاهرياً تحتل مكانة مرموقة وسط نظيراتها في العالم.

أ- أنطولوجية المكان المعادي التخيلي: يقترح الفيلسوف باشلار منظورا مغايرا للمكان يتجاوز الأبعاد الهندسية للمكان وعلاماته الجغرافية، للبحث في قيمة الأنطولوجية اعتماداً على فاعلية الخيال « فالخيال يتخيل ويغني نفسه دون توقف بالصور الجديدة، وما أود استكشافه هو ثروة الوجود المتخيل»⁽¹⁾ للوصول إلى القيم الإنسانية للمكان من خلال استكشاف ما يضيفه الإنسان من قيم وصور متخيلة ومشاعر على المكان، وهو ما يترتب عنه ألا تعتبر المكان (شيئاً) مفصلاً عن تجربة الإنسان في الوجود ذلك أن المكان هو فضاء يعيش فيه الإنسان ليس بشكل رمزي، من خلال ما يحلم به الإنسان ليس بشكل موضوعي فقط، ولكن بشكل رمزي من خلال ما يحلم به الإنسان أو يتذكره، أي من خلال ما ينسجه الإنسان من علاقات عدا ونفور وابتعاد ونسيان⁽²⁾ وهنا ما يتضح صورة المكان الغربي بتحديد باريس التي رسمت في ذهن محسن كانت صورة حضارية راقية، وقف خلالها وقفة انبهار وإعجاب من هذه الحضارة التي بسطت جناحيها على العالم فقط رأى ما لم يره من قبل، وسمع ما لم يسمع وذلك حين حضر حفلة موسيقية في باريس فما تمالك أن وقف مشدوهاً، أنه عظمة أي ثراء شعرت بالدوار؟⁽³⁾.

وخلالها تفاجأ بكل أنواع البذخ والإغراق في الترف إلى حد الكفر والفجور والاستهتار وقد شبهها بالجمهورية التي تخيلها الشعراء والفلاسفة في كل زمان وإنها جمهورية لا تعرف الفقر ولا تعرف الغف لأنها لا تعرف الذهب وتعرف السلام لأنها لا تعرف الجشع... الكل فيها مثل فولحد... أما الذهب فإنهم يصنعون منه مصابيح الطرقات وحوافر الجياد... ياللسماء أو المستطاع لمثل هذا الحلم الجميل أن يتحقق يوماً ما على هذه الأرض...؟⁽⁴⁾ حتى الفن كان من بين ما أثار إعجاب محسن في الغرب يقول عن بيتهوفن « هاهو ذا نبي حقيقي... هاهو ذا رسول المحبة والسدّ لآلام خليك أن يرفع مجد الغرب أبد الأبدن... وأن يطهر

(1) - محمد بوعزة، تحليل النص السردي وتقنيات ومفاهيم الطبعة الأولى، 1431هـ 2010م، ص 96-97.

(2) - المرجع نفسه، ص 99.

(3) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاه ص 29.

(4) - توفيق الحكيم المصدر السابق ص 29

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

الإنسانية وأن ينير القلوب... (1) هذه هي الصورة الإيجابية التي أعطاها الحكيم للغرب عن طريق محسن أما مجاؤه اللاذع لهذه الحضارة و إنجازاتها قد كان على لسان إيفان المتصوف الذي كان له حلم رؤية الشرق فأوروبا في نظر إيفان هي ثمرة زواج آسيا و إفريقيا، فكان مولودهما هذه الفتاة الشقرا التي تسمى أوروبا جميلة رشيقة ذكية لكنّها حقيقةً أنانية لا تعنيها إلاّ نفسها واستبعاد غيرها... (2) أي أن الحضارة الأوروبية ما هي إلاّ الخليط الهجين الذي انجرّ عن امتزاج الحضارة الآسيوية مع الحضارة الإفريقية فالحضارة في نظر الحكيم لا تنتثر، وهذه الفتاة التي يتحدث عنها إيفان هي فتاة الشرق ومن هذا القبيل يؤنث الغرب من طرف جورج طرابيشي وأن تكون أوروبا فتاة الشرق فهو بالتالي حكمًا فتاة ورجلها و لإنّها أنثى، ولأنّه رجل ، فإنّ شاغلها الأرض والمادة ، وشاغله السماء والروح (3) وهي بذلك لا تعترف إلاّ بحياة الواقع أنانية عاقبة ترى المجد كله في شيء واحد أن تضع الأصفاد في أرجل البشر، وبدأت أول ما بدأت بأبويها، إفريقيا وآسيا أنكرتهما وحبستهما (4) فكان لها أن لوّث الشرق بماديتها وعملت على تشويهه، ويقول طرابيشي «فكبرى جرائم "الفتاة الشقراء" في الشرق أنّها ثبت فيه بعضاً من مبادئ الديمقراطية وعلومها العقلانية ونقلت إليه عدوى أنوثتها المادية أو عدوى ماديتها الأنثوية» (5).

كما أنّ توفيق الحكيم يدين الرأسمالية والاشتراكية الغربية، فالنظام الرأسمالي متعسف متوحش استغلالي، الناس عنده عبيد، كما وصفه والد أندريه قائلا «يا لها من وحشة. إنّ هذا لم يعد يسمى عملاً، إنّ ما هو الإسترقاق... الرق لم يذهب من الوجود... لقد اتخذ شكلاً آخر يناسب القرن العشرين ها هي ذي جيوش من العبيد يسخرها أفراد معدودون من السادة الرأسماليين» (6) حتى الكنيسة التي تمثل الجانب الديني والروحي كانت خاضعة لهذا النظام إنّ نظامها الرأسمالي لأدق نظام» (7)

(1) - المصدر نفسه ص 189.

(2) - المصدر نفسه ص 173 .

(3) - جورج طرابيشي، شرق غرب ص 42 .

(4) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه ص 173 .

(5) - جورج طرابيشي، شرق غرب ص 43 .

(6) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه ص 41 .

(7) - المصدر نفسه ص 170 .

الفصل الثاني ===== صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

الدين شيء مقدس، ومتى كان الدين يباع ويشترى بالأموال؟ وإلى جانب الدين الذي دنس بالمادة جعلت من العلم أيضا وهو أقدم شيء في حضارات سنا مخرطة تقضي به على طموحات البشرية شاعريتها وصفاء روحها يقول إيفان... إنَّ السكك الحديدية والطيارات قد أعطتنا السرعة وتوفير الوقت، ولكن ما فائدة ذلك...؟ ولماذا السرعة...؟... ولماذا توفير الوقت...؟ كأنَّها قد هبطت علينا شياطين تلهب ظهورنا بالسياط⁽¹⁾ وكل شيء في هذه المدينة الغريبة يعمل على قتل الفضائل الإنسانية، وهي "مدينة ناقصة" بكونها لا تدرك ولا تعترف إلا بما يقع تحت لمسها وبحرها ومنطقي عقلها ولا تقوم إلا على عالمي المحسوس⁽²⁾ وهو عالم المادة الذي لا يعترف بعالم الروح لكن محسن بعد آراء "إيفان" وقف موقفا وسطا، فرق ما ذكره إيفان من هجاء للغرب، كان في نظر محسن قسوة زائدة لأنَّه في نظره لا بد أن تكون للغرب فائدة تغطي كل هذه السلبيات، يقول محسن «مهما يكن من أمر، فإن أوروبا قد وصلت بالعلم البشري إلى قمم لم يصل إليها...»⁽³⁾ ولم يكمل كلامه، وكأنه يريد من "الشرق" الذي لم يظهر أوروبا في عملها ولن يضاهيها وبهذا وقف الحكيم بداية وقفة إعجاب وانبهار من الغرب رغم ما فيه من مساوئ تطغى عليه وعلى نظامه، ولكنه لم يتوان في تركه، لقد وجد فيه ما يتلائم مع شخصيته من فن، ماديته التي داق وبلاتها في تجربته مع سوزي وهو يؤثر بذلك أن يقف موقفاً وسطاً فلا هو بالمؤيد ولا هو بالمعارض لهذه الحضارة لقد تذبذب الحكيم بين الأنا والآخر كما تذبذب بين اليمين واليسار، فلا هو غربي ولا هو شرقي ولا هو يساري ولا هو يميني فهو يحارب اليسار من خلال أفكار إيفان كما يحارب الرأسمالية الغربية ويقول أنَّ الصناعة الحديثة تقتل الإنسان... وهو بالإضافة إلى هذا أو ذاك يهاجم رجال الدين لأنَّهم يقتلون بالكلمة ويبيعون الدين بالأموال...⁽⁴⁾

(1) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه ص 174 .

(2) - المصدر نفسه ص 188

(3) - المصدر نفسه ص 186، 187

(4) - عبد العزيز المقالح: أصوات من الزمن الجديد" دراسات في الأدب العربي المعاصر دار العودة بيروت، ط1، 1980، ص61

ب- أنطولوجية المكان الألفة (المنشأ الأول):

يمثل الحكيم في عصفور من الشرق الواجهة الثقافية للشرقي عموماً، ولمصر بصفة خاصة بكونها موطنه الذي ينتمي إليه، فهو ضوء فول مصرية عريقة وليدة الحضارة الفرعونية ونظرتة للحضارة المصرية قد برز بصفة أو بأخرى في روايته ذلك من خلال إجرائه مقارنة على لسان محسن بين كل من الحضارتين الأوروبية والمصرية، فالأولى في نظره صورة مشوهة ومزيفة للحياة وهي حضارة ناقصة تعيش في عالم واحد عالم المادة يقول محسن «يتخيل إلي أنّها الحضارة الأوروبية الحديثة، لا تسمح للناس أن يعيشوا إلاّ في عالم واحد...» (1) «ألمّا الحضارة المصرية لديه، فهي في مسافة الحضارات الكاملة» التي تعيش في عالمين، عالم المادة وعالم الروح، عالم المادة بكل ما تشمله هذه الحضارة الفرعونية من أهرامات وثروات وخيرات، أمّا عالم الروح فيكمن في المعابد والتماثيل وكل الطقوس والمقدسات التي تربطهم وجميع أنواع الفنون التي لها منافع للبشرية وليس لها غرض أفسد الحياة فهي بحق تستحق أن تكون حضارة خالدة، ويظهر ذلك جلياً في قول محسن «لقد عرفت الحضارات» العلم» و«العلم التطبيقي» فالحضارة التي تشيد الأهرام لا يمكن أن تجعل العلوم النظرية والتطبيقية، ومع ذلك العلم لم يفسد من الرؤوس الزجاجات الصور التي تمثل الحياة الأخرى» (2)

وكل العلوم النبيلة الناجمة عن الحضارات القديمة، إقتبسها الغرب وألبسها حلاً تخدم مصالحه وتلبي احتياجاته الاستعمارية وهذا العلم الخالص أورثته إفريقيا وآسيا فتاتهما الشقراء أوروبا سبائك ذهبية وأحجاراً كريمة من الزمرد والفيروز، فاحتفظت الفتاة ببعضه وجعلته حلياً لبهرجها... أما بقية الكنوز... صنعت منها أغلالاً تستعبد بها العالم (3)

ولقد كانت نظرة توفيق الحكيم متناقضة بين رأي محسن ورأي إيفان فهو غالي في نقد على لسان الغرب نفسه إيفان وفي نفس الوقت أعطى صورة معاكسة الشرق، بالمغالاة في مدحه على لسان إيفان نفسه، فهو في نظره بلد العلم الصرف، البعيد عن أطماع أصحاب

(1) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاه ص 172 .

(2) - المصدر نفسه ص 172 173

(3) - المصدر نفسه ص 179، 180

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

المال والمنافع، وقد عرفه كمظهر من مظاهر العبقريّة الآدمية المفكرة في تعطشها لمعرفة الحقيقة العليا... وهنا كل نبل العلم، وسمو غايته⁽¹⁾

كما يرى فيه بلد الأنبياء والصفاء والدين، على عكس الغرب الذي قتلته المادة وجعلته ممزقا جسدي وبعد رأي إيفان تجاه الشرق عاد الحكيم ثانية وكأنّه يريد إعادة التوازن بين الشرق والغرب بالنقد اللاذع للأنا، وهذه المرة على لسان محسن الشرق الروحي في قوله لإيفان: مهلا، مهلا أيها الصديق،... إنّ الذي تريد أن تراه وتلك الأنهار التي تريد أن تشرب منها، قد تسممت كلها.... إنّ الفتاة الشقراء" يوم حققت فخذها " بالمورفين" السهام لم تترك أبويها سالمين، لقد قضى الأمر، ولم يعد هناك نبع صاف، فإنّ الزهد قد ذهب كذلك من الشرق...⁽²⁾ وهذه الحقنة التي أخذها الشرق جعلت منه مزيج جميع الغرب، لقد تبنى جل الأفكار الأوروبية وانعكست مفاهيمه اتجاه الدين"... وإنّه من السهل أن تقنع شرقيا اليوم بأنّ دينه فاسد، ولكن ليس من السهل أن تقنعه بأنّ «الصناعة الكبرى» هي عجلة إبليس التي يقود بها الإنسانية إلى الدمار⁽³⁾ سلاح الغرب في التأثير على الشرق هو المادة وقد عمل الغرب على تشويه الشرق، فاليوم ليس هناك شرق... إنّ ما هي غابة على أشجارها قردة، تلبس زي الغرب، على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا إدراك⁽⁴⁾ وهذا المزيج الجديد لاهو شرقي ولا هو بغربي خالص أطلق عليه طرابيشي لقب متغشرب أو متغشرب بكل ما تحمله هذه التسمية من إحياءات كاريكاتورية الهجين بين الأنا و الآخر تبين وقفة الحكيم الوسطية بينهما

3_الدينامية والمكان (أمكنة الانتقال/الإقامة)

يقترح(حسن بحراوي) نمذجة للمكان الروائي تبنى على مفهوم التقاطب، حيث يميز بين أمكنة الانتقال أي(المتحرك) فتكون مسرح لحركة الشخصيات وتقلاتها، وتمثل

(1) - توفيق الحكيم المصدر السابق ص 179

(2) - المصدر نفسه ص 190

(3) - المصدر نفسه ص 190

(4) - المصدر نفسه ص 191

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

الفضاءات التي توجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس خارج بيوتهم كالمحلات والمقاهي⁽¹⁾

ويتخذ القص من التقطبات المكانية (الساكن/ المتحرك) البؤرة المركزية التي ينطلق فيها في تشييد هيكلية الأحداث لأنها، لا تتحرك إلا بتحرك الشخصيات في المجالين الزمن والمكان والتحرك الإنساني في المجال الزمني بالضرورة حركة الزمان نفسه، بينما لا يعني الأمر نفسه بالنسبة للمكان فإن أية حركة مهما ضؤل شأنها تستغرق مسافة زمنية معينة، وهذه المسافة بحد ذاتها تعني حركة... المكان الساكن من نقطة إلى نقطة أخرى⁽²⁾ وما يطرأ عليها من متغيرات تسهم في تفاعل الشخصيات وتطورها التي تنفتح على ثنائية الحركة/ السكون، إن الأماكن المنخفضة تتسم بالسكون على عكس الحركة الذي يصفها لوتمان بأنها ليست انتقال الجسم ما من نقطة متمركزة إلى نقطة أخرى التحول الذي يطرأ على الأجسام نفسها، أي أن الحركة هي القدرة على التبدل والتغيير⁽³⁾ وهنا نميز بين نوعين من الأمكنة وهي أمكنة الحركة (الانتقال) وأمكنة السكون (الإقامة) فتكون بذلك أماكن الانتقال والحركة مسرح لحركة الشخصية محسن وتقله، وتتمثل في فضاءات وأماكن، وكان في الرواية الإطار المكاني العام هو الغرب وبالتحديد باريس.

فمنذ أن وطأت قدما محسن باريس راح يتجول في أماكنها ومواطن الفن فيها، فكان ميدان الكوميدي فرانسيز أول مكان فرضته الرواية، وقد تعددت الأمكنة، حسب دور الشخصية الرئيسية محسن

الكنيسة (سان جيرمان)

وهناك دارت أحداث تشييع جنازة زوج بنت شارل رافق فيها محسن صديقه أندريه وشارك في مراسيم هذه الجنازة، دق نواقيس كنيسة (سان جيرمان) احتفالاً بغستقبال الجثمان ولم يكن بباب الكنيسة أحد غير محسن فقد تركه أندريه عند باب وذهب يتشري مضلة يتقيان

(1) - محمد بوعزة، تحليل النص السرد، تقنيات ومفاهيم، الطبعة الأولى، 1431هـ 2010م، ص103

(2) - قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر: ص115

(3) - ينظر: مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، سيزا قاسم، مجلة ألف، العدد "2" لسنة 1986م 66

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

المطر أثناء السير في الطريق من الكنيسة إلى المقبرة¹ ، ولم يكن دخل كنيسة قبل ولا حظر صلاة ميت من أموات النصاري... وخيل إليه أنه بإجتيازه العتبة قد ترك الأرض وارتقى إلى جو آخر، له عبيره وله نوره!... هنا أيضا عين الخشوع وعين الشعور الذي كان يهز نفسه كلما دخل القاهرة مسجد السيدة زينب² وكان لمحسن حينها إحساس خاص إذّ جاء ذلك المكان هنا أيضا عين الخشوع وعين الشعور الذي كان يهز نفسه كلما دخل مسجد السيدة زينب⁽³⁾ ، فقد رأى كيف وضع الثابوت في الصدر، وأضيئت حوله الشموع، وأخذت أصوات الرهبان تعلو مرتلة الصلاة على أنغام الأرغن⁽⁴⁾ وعلى عكس أندريه الذي كان لا يعطي للكنيسة قداسة بل يعتبرها كمقهى كان محسن يعتبرها بيتا من بيوت الله في حين قال أندريه مخاطبا محسن بقوله:

أيها العصفور الشرقي!... تعد نفسك لدخول الكنيسة ما معنى هذا؟

ناإندخلها كما ندخل القهوة... أيّ فرق؟!... هناك محل عام، وهنا محل عام...

هناك الأرغن، وهنا الأركسيتر!:(⁵)

يقول محسن: "بل هناك السماء!... وليس من السهل على النفس الصعود في كل لحظة... إذّ له لمجهود...⁽⁶⁾ هناك علاقة وثيقة توط محسن بالكنيسة رغم أنّ له دخلها لأول مرة في حياته فالجانب الروحي لمحسن هو الذي جمعه بهذا المكان والذي شكّل بدوره حيزا مهما من شخصيته الروحانية.

منزل الأسرة كوريفوار

(1) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه ص 15

(2) - المصدر نفسه ، ص16

(3) - توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه

(4) - المصدر نفسه، ص 17، 16

(5) - المصدر نفسه ص22

(6) - المصدر نفسه ص 22

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

هو المنزل الذي عاش فيه محسن عندما قدم إلى باريس حيث تعرف على أندريه وعائلته، وبالرغم من إغترابه هناك كانت عائلته الثانية وحضي بحبه الكبير من قبل العجوز، وكان لقبه الدائم هو العصفوري الشرقي.

دقت الساعة الواحدة في (مصانع كوريفوار) فأسرعت المرأة إلى قاعة الأكل وجعلت تهيئ مائدة الغداء، وسمع صرير مفتاح في الباب الخرجي، ثم بدا في الدار شيخ فالتفت يمينا ويسارا باحثا عن محسن، ما كاد جانو يسمع صوت نعله وسعاله، حتى إنطلق نحوه يجري ويصيح:

جدي حذر...!

ودخل الرجل المطبخ، ونشر مظلة في يده بللها ماء المطر، فمد يديه إلى النار، وهو يحدث زوجته في شؤون المعاش... لالتفت الشيخ يمينا ويسارا باحثا عن محسن، وما أدركت المرأة مراده فالتفت إلى مكانه إلى مائدة المطبخ فوجدته خاليا فقالت:

"عصفور من الشرق" صعد إلى حجرتك من غير شك¹

صمت العجوز لحظة متفكرا ثم قال: لقد قال لي ذات يوم أنه سيمكث عامين أو ثلاثة...
أمل أن لايسأم حياة الريف ويفر إلى باريس²

مسرح الأوديون: مكان عمل الفتاة الشقراء "سوزي" في شباك التذاكر، يقول محسن عنها:

"تشرف على الناس بعينين من فيروز، وهم يمرون أمامها الواحد تلو الآخر... يمر بين يديها كل يوم هذا الموكب وهي تنبسم من شباكها" ويوجد هذا المسرح في شارع الأوديون أين توجد هناك مقهى مقابل المسرح يجلس فيها محسن مترقبا محبوبته، وأشر الفتى بيده إلى المسرح، فضحك أنديه وقال:

(1)- المصدر نفسه ص 38.

(2)- المصدر نفسه ص 39.

الفصل الثاني = صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

... " أيها العاشق الشرقي الذي ينفق أيامه في قهوة يحلم وحبيبته على بعد خطوتين " ¹ ، متذكرا بذلك ماضيه حيث كان يجلس سليم مترقبا محبوبته سنية ، وقد لمعت في رأسه كالبرق صورة من الماضي، فرأى قهوة الحاج شحاتة في حي السيدة زينب بالقاهرة وذكر جلوس عمه اليوزياشي سليم الساعات الطوال ببابها شاخصا إلى دار محبوبته سنية... ، ادرك محسن لوفره أنه يصنع الآن في شارع (الأوديون) عين الذي كان يصنع سليم في شارع سلامة منذ سنوات ...

أهي المصادفة!... أم أن هذا شيء في دمه! غير أنه يحس قوة ترغمه على الجلوس قرب مكانها، وأنه يحب هذا القرب لذاته:

وعاد محسن فجلس، وا تسعت حدقتا الفرنسي دهشة وصاح:

ألا تستطيع أن تبرح هذا المكان!...

إنك ترى بعينيك أنني لا أستطيع!...

فأشار أنديه إلى (الترياترو) بأصبعه:

ولماذا لا تذهب إليها فتفتاحها بما في نفسك!... ²

فندق زهرة الأكاسيا:

تقطن فيه زوزي وا تنتقل إليه محسن ليعيش فيه ولتكون حياته إلى جوارها،... ولم يغفل محسن عن الفتاة طرفة عين، وصعد معها في عربة واحدة وجعل يراقبها عن كثب دون أن ينظر إلى عينيها حتى بلغ الميترو محطة كورديلاس فنزلت وسارت في طريق طويل... إلى أن

1- توفيق الحكيم عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، سعيد جوده السحار وشركاءه ص 60

2- مرجع نفسه، ص 60.

الفصل الثاني صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

بلغت فندقا يدعى فندق " فندق زهرة الأكاسيا" ¹ ، وكان لهذا المكان في رفع الجانب النفسي لمحسن خلال فترة مكوثه فيه حيث قضى 15 يوم هناك كان من أجمل أوقات حياته.

كما كان لمحسن جولات في باريس زار خلالها معالم الفن فيها، من بينها قهوة الدوم بحي تومبارس حيث جمعت أهل الفن من ممثلين ومصورين، ومسرح شاكلييه أين حضر السنفونية الخامسة لبيتهوفن وأوبرا باريس ففيها قضى ليلة لا تنسى أراد خلالها محسن أ، يتشبه بالموسرين وفيها وقف عصفورنا الشرقي منبرها من الحضارة الأوروبية بفنها ومعالمها.

1- مرجع نفسه ص 69.

الختامة

للروائي والمسرحي توفيق الحكيم طاقة ايجابية تستحق المدح والتتويه، فهو يعد من الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث، وفي روايته عصفور من الشرق قاسمنا الحكيم همومه ومشاكله وقلقه وقوفا على تجربته في مجال الرواية العربية.

ونلاحظ سمة تميز توفيق الحكيم عن غيره في أسلوبه الرونقي وتوظيف الرائع إلى عملية الترميز في روايته حيث حول سوزي من عاملة تذاكر متواضعة في مسح الأوديون إلى فتاة شقراء لعوب مسقطا بذلك صفاتها على القارة الأوروبية.

ومن خلال الرواية اتضح لنلأ اللقاء بين الشرق والغرب كان لقاءً صدامياً عنيفا تارة ولقاءً مسالماً تارة أخرى، بابتداء بالحروب الصليبية والاستعمار والإستشراق.

ومحسن بطل الرواية كان نموذجا للرجل الشرقي الروحاني المنبهر بالغرب، حيث كانت رؤيته للآخر الغربي رؤية ليهار ولي ندهاش.

*كل رواية بمثابة تجربة ذاتية حتى وإن لم ترو بضمير الأنا بلنإ الرسوم التي تصور بعض المشاهد من عصفور من الشرق تمثل توفيق الحكيم شخصياً، وإن يكن قد أطلق على بطله إسم محسن وبهذا المعنى فاللرّاية العربية الحضارية تستحيل إلى ضرب من أدب الاعترافات، ولئن لم تسرد بضمير الأنا، فهذا بلا ريب، وفي معظم الأحوال، تحاشيا لقيام القارئ بإجراء عملية مماهاة أو توحيد في الهوية بين البطل والمؤلف.

ومن خلال الرواية تبين لنلأ الحكيم مفتون بالحضارة الغربية التي تمثل له عالم الفن والفكر، ومتعلق في نفس الوقت بحضارته الشرقية وروحانياتها

وتعد تجربة الحكيم من التجارب الرائدة في المرحلة الراهنة، ولذا فإننا ندعوا زملائنا الطلبة للبحث في إبداعاته الروائية والمسرحية.

الملحق

الملحق

1- نبذة عن حياة توفيق الحكيم

1 - نشأته

هو كاتب وأديب مصري واحد رواد المسرحية والرواية العربية في العصر الحديث، ولد توفيق الحكيم في 9 أكتوبر 1898 في مدينة الإسكندرية في مصر لأسرة ثرية من ملاكي الأراضي وكان والده قاضيا في الإسكندرية.

أظهر منذ صغره حبا وولعا بالآداب، حيث بدأ بارتياح المسارح وحضور العروض للممثلين الشهيرين من أمثال جورج أبيض، كتبعدة مسرحيات قصيرة بينما كان يتابع تعليمه الثانوي وقام أصدقائه بتأديتها.

كتب في العديد من المجالات مثل القصص القصيرة، المقالات، كما كتب كلمات لأغاني وطنية، دخل بعد ذلك كلية الحقوق في جامعة القاهرة لكنّه لم يبل جيدا فيها، وانتقل لدراسة اللغة الفرنسية.

2-إنجازاته

بدأ الكتابة بإسم مستعار " حسين توفيق" ليعيد العار عن عائلته التي كانت تعتبر مثل معظم العائلات في ذلك الوقت أنّ الكتابة مسعى لا يليق بالعائلات المميّزة، وكانت معظم هذه المسرحيات للمسرح العام، لامستل كالمسرحيات الغنائية والكوميديّة جوانب اجتماعية وسياسية، فتطرقت مسرحية "الضيف الثقيل" إلى الروح القومية متزايدة الحماس في تلك الفترة في مصر إبان ثورة 1919.

قضى الحكيم فترة ثلاث سنوات من حياته في باريس حيث حصل على شهادة الحقوق في عام 1925 لكنّه لم يوفق في الحصول على وظيفة حكومية في ذلك الوقت وشجعه صديق والده السياسي الشهير أحمد لطفي السيد على دراسة الحقوق في فرنسا والحصول على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون، لكنه عمل في تلك الفترة على تحضير نفسه ليعمل في مجال المسرح، وبالرغم من عدم دراسته في كلية مسرحية رسمية إلّا أنّه قضى الكثير من الوقت مستغرقا بقراءة المسرحيات وحضور العروض المختلفة، ولم تنحصر قراءاته في الدراما بل

إمتدت لتشمل مختلف المواضيع في الثقافة الغربية وكان لقرائته لكتاب الطلائعية (garde_avant) التأثير الأكبر على كامل حياته الأدبية.

عمل عند عودته إلى مصر نائبا للمدعي العام وانتقل بين مختلف الأقاليم المصرية في الفترة الممتدة بين 1928 و 1934 واستمد إلهامه لروايته الشهيرة "يوميات نائب في الأرياف" التي نشرت في عام 1937 من هذه التجربة، بعدها عمل في وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة التعليم بين عامي 1939 و 1943 وفي عام 1951 عين مدير المكتبة الوطنية وبقي في هذا المنصب المهم حتى عام 1956 أصبح بعدها عضوا في المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

شهدت الفترة الممتدة بين ثورة 1919 في مصر ضد الحكم البريطاني وبين الانقلاب العسكري عام 1952 واضحا في الأدب المصري الحديث في الدراما والرواية والقصص القصيرة، وتعتبر رواية الحكيم التي صدرت عام 1928 بعنوان "عودة الروح" كلاسيكية خالدة وشهد عام 1933 نشر أول مسرحية فلسفيه للحكيم بعنوان أهل الكهف قصة مستوحاة من القرآن وكانت هذه المسرحية البداية للعديد من المسرحيات التي أصبحت أساسا كلاسيكيا للأدب العربي الحديث وكتب الحكيم أكثر من 50 مسرحية ليكون بذلك مؤسس الدراما العربية الحديثة.

وفي عام 1938 أصدر الحكيم روايته عصفور من الشرق تجسد فيه موقفه الواعي وتردده بين الشرق والغرب وفي عام 1958 حصل على قلادة الجمهورية من الرئيس جمال عبد الناصر لمساهماته المختلفة خاصة عن عمله المميز "عودة الروح" الذي يعتقلذّ بها لهم عبد الناصر نفسه إضافة إلى الجيل بأكمله، كانت تحمل رموزا مختلفة تعود إلى مصر القديمة وأمجادها الخالدة التي عمل عبد الناصر على إحيائها.

وحصل عام 1962 على جائزة الدولة التقديرية للفن وبشكل خاص الدراما، بالإضافة إلى إشعاله الروح القومية من خلال كتاباته الدرامية، إخلاصه لحركة التطور الإجتماعي واهتمامه العميق بإنهاء كافة مظاهر الظلم والفساد.

3- أشهر أقوال الحكيم:

- _ الإنسان كائن متعادل ماديا وروحيا وهذا سر حياته .
- _ المصلحة الشخصية هي دائماً لاَّ الصخرة التي تتحطم عليها أقوى المبادئ.
- _ يجب على الإنسان أن يعرف كل شيء عن شيء ما، ويعرف بعض الشيء عن كل شيء.
- _ إنَّ عقل المرأة إذا ذبل ومات فقد ذبل عقل الأمة كلها ومات.

4- وفاته:

توفي توفيق الحكيم في 26 جويلية 1987 في مدينة القاهرة المصرية .

مضمون الرواية

عصفور من الشرق أراد التحليق في سماوات الغرب فتمثل بقصة عاطفية وعبر بهما إلى فاترينية الدنيا " باريس".

في عاصمة الجن والملائكة " باريس"، تدور أحداث قصة أشبه بالسير الذاتية، يرويها لنا لسان وقلم " توفيق الحكيم"، بدايتها كان ماطرا، حيث الناس يهرعون إلى الحيطان ومداخل المترو، أمام حسن فيعلن عن بداية آلامه وأحزانه، عند تمثال " ديموسيه" ويجعل من الشعار الذي نقش على قاعدة هذا التمثال عنوان لقصته لاشيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم⁽¹⁾ وكأنه يريد أن يجعل من نفسه عظيما كعظمة التمثال إنطلاقا من ذلك الألم.

يلتقي محسن بسوزيويوهم نفسه بقصة عاطفية هي في الحقيقة إكتشاف لطباع مختلفة وتوجهات تبحث في ذاتها أكثر من الارتباط أو ما شابه ثم تعبر قافلة رحلته بمحطة هي الأهم في رواية الحكيم إلى إيفان...

(1) - توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر الفجالة (حط) (د.ت) ص 11

إيفان ذلك العامل الروسي الذي جرت على لسانه حكمة الحكيم وفلسفته... إيفان الذي يرى في أوروبا فتاة لعوب نشأت على أكتاف قارتي إفريقيا وآسيا... ناهية ثرواتها وخيرات بلادها وفوق ذلك لم تدع لهما مجالا للنهوض فحقنت المورفين السام بدمهما قبل أن تعدو لثورة صناعية بل أكثر من ذلك أداة إنتاج تتفصل نهائيا عن منتوجه ليفرق في اغتراب يدفعه إلى الخنوع لآلة المجتمع.

ومع تقدم الزمن تتفصل الجماعات فتظهر الشيوعية مصطدمة بالفاشية وتطفو على السطح نيوليبرالية جديدة تستثمر في الإنسان والدين على حد السواء، فما هو الدين في الكنائس مرصع بالماس والذهب يخدم مصالح الطبقات الحاكمة زاهقا كل روح تستجد به.

أما عن الشرق فتوفيق الحكيم أجرى الأمر بأمني إيفان وأمني كل محب للعدل والسلام والمودة، فإذا كان الشرق مهد الحضارات والأديان وفيه روحانيات وآمال عريضة بالهدوء والراحة ووعود بحياة أخرى فيها السكينة والخلود دون نزاعات ولا حرب ضروس في مثل نبع دافئ الإنسانية يعلو بقيمة الإنسان كما يظن إيفان ويتمنى بل يتوقع مستشهدا بالماضي العريق البعيد...

إنَّ الغرب لم يستطع شفاء إيفان لذلك وضع أمله كله في الشرق وقد وضع له في رأسه صورا عظيمة... تنتهي به حياته لتخرج آخر كلماته: "إذهب أنت يا صديقي... إلى هناك... إلى النبع... واحمل ذكر أي معك... وداعا... لها وصية إيفان لمحسن.

وتنتهي عصور من الشرق بهذا الوداع المؤثر كما لو كانت إحدى علاقات الحب العظيم، قد تخللت إليها الدسائس والحيل ففشلت تجميعها، ولم تتجح سوى الطبيعة أو السماء في تحطيم الأمل الأكبر، حطمت بالمرض والفقر والوحدة، حطمت بالعذاب الذي يظهر الإنسان من رقة المادة والواقع.

فائزہ المصاوير والسر اجمع

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم برواية ورش

ثانيا: المصادر والمراجع

- 1: أحمد أمين، الشرق والغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ط) 1995
- 2: أحمد درويش، الإستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، (د.ط)، 2004
- 3: أحمد سما يلوفيتش، فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)
- 4: إبراهيم صنع الله، أمريكانلي، 2003، دار المستقبل العربي، القاهرة.
- 5: السلطان الحائر، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2008.
- 6: الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي، ناظر و منظور إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 7: توفيق الحكيم، تحت شمس الفكر، دار مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة (د.ط)، (د.ت).
- 8: توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار مصر للطباعة، (د.ط)، (د.ت).
- 9: جورج طرابيشي، عقدة أوديب في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
- 10: حسن حنفي، مقدمة في علم الإستغراب، الدار الفنية، القاهرة، (د.ط) 1411 هـ 1991 م.
- 11: حسن محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1983.
- 12: أحمد الفخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي " الأدب الحديث"، دار الجليل، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 13: رشيد الزوادي، أحاديث في الأدب مع توفيق الحكيم وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 1986.

14: رفاة رافع الطهطاوي، الأعمال الكاملة "السياسة والوطنية والتربية"، ج1، تح: محمد عمارة، دار الشروق_مصر، (د.ط)، 2010.

15: زكي نجيب محمود، الشرق الفنان، دار القلم، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)،

16: زهرة العمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، (د.ط)، 2006.

17: سهيل الدريس، الحيّ اللاتيني، دار الآداب، بيروت، لبنان ط1، 1935، ط14، 2006.

18: شجاع مسلم العاني، الرواية العربية والحضارة الأوروبية، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، (د.ط)، 1975.

19: شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط. 1997²

20: صفاء أحمد فنيخرة، التقاطب المكاني في القصة القصيرة قراءة في (ظنون وراء الأشجار) لـرزان المغربي، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصر اتهليبييا، المجلد الأول، العدد الخامس، يوليو، 2016، ص44.

21: عادل الألوسي التراث العربي والمستشرقون " دراسة عن ظهور الكتاب العربي ونفائس الكتب العربية التي طبعت فيا لغرب"، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2001م.

22: ع.الله أبو هيف، جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج27، 2005

23: ع.العاطيشلبي، فن النثر الحديث، تحليل مقالات وقصص قصيرة، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الأزراطية الاسكندرية (د.ط)، 2004.

24: ع.العزیز المقالح، أصوات من الزمن الجديد، دراسات في الأدب العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط1، 1980.

25: ع.المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1998.

- 26:عصفور من الشرق،دار مصر للطباعة،مكتبة مصر،الغزالة(د.ط)، (د.ت)،
- 27:غالي شكري،ثورة المعتزل،دراسة في أدب توفيق الحكيم،دار الآفاق الجديدة،بيروت،ط3،
1982
- 28:غيداء أحمد سعدود شلاش، المكان والمصطلحات المقاربة له،دراسة مفهوماتية، مجلة
أبحاث كلية التربية الأساسية،المجلد 11،العدد 2،ص242-،243
- 29:فخري صالح:قبل نجيب محفوظ وبعده " دراسات في الرواية العربية"، دار العربية للعلوم
ناشرون،بيروت، منشورات الاختلاف،الجزائر، 1431هـ
- 30:لعبة الحكم والواقع " دراسة في أدب توفيق الحكيم"،دار الطليعة،بيروت،ط2(د.ت).
- 31:محمود حمد يزقزوق،الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،دار
المعارف،القاهرة،(د.ط)، (د.ت).
- 32:محمد راتب الحلاق،نحن والآخر دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي
الحديث والمعاصر"،من منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،(د.ط).
- 33:محمد رياض وتار،شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، دراسة منشورات اتحاد
الكتاب العرب،دمشق،(د.ط)،1999.
- 34:محمد شاهين، آفاق الرواية العربية،البنية والمؤثرات،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط.2007
- 35:محمد غنيمي هلال،النقد الأدبي الحديث،نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة
(د.ط)، (د.ت).
- 36:محمد نورالدين آفاية،الغرب في المتخيل العربي،منشورات دار الثقافة والإعلام،الشارقة،
ط1،1996
- 37:مصطفى السباعي،الإستشراق والمستشرقون " مالهم وما عليهم"، دار الواروق، المكتب
الإسلامي، ط1422 هـ،2001م.

38:مصطفى الضبع، استراتيجية المكان، دراسة في جماليات المكان في السرد العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة 1998، ص77-78.

39:مصطفى ع. الغني، افتتاح القومى فى الرواية، عالم المعرفة، الكويت، (د.ط)، 1994.

40:منى حسين مؤنس، مصر فى عيون الغرب وأدبه، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، دارالمعارف، (د.ط)، (د.ت).

41: نازك سابايا، الرجالون العرب وحضارة الغرب فى النهضة العربية الحديثة، بيروت، لبنان، ط2، 1992.

42:يمنى العيد، الرواية العربية، دار الفارابى، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

ثالثا: المعاجم:

1:ابن فارس مقاييس اللغة، ج3 وج4، تح:ع السلام هارون، دار الفكر، الأردن، (د.ط) (د.ت).

2:ابن منظور، لسان العرب ج6 وج10، تح:خالد رشيد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1، 2008.

فہرست الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعران

الإهداء

أ مقدمة

مدخل

5 02- مفهوم الثنائية لغة واصطلاحا

6 02- مفهوم الشرق والغرب

الفصل الأول: الرواية العربية وثنائية المكان

12 أولاً: اللقاء الحضاري بين الشرق والغرب

13 1- رؤية الشرقي للأخر الغربي

16 2- رؤية الغربي للأخر الشرقي

18 ثانياً: بين الشرق والغرب

18 1- مادية الغرب وروحانية الشرق

22 2- الحوار بين الشرق والغرب

33 ثالثاً: نماذج من الرواية العربية

33.....	أمريكا نلي لصنع الله إبراهيم.....
35.....	قنديل أم هاشم ليحي حقي.....

الفصل الثاني: صورة المكان في رواية عصفور من الشرق

37	أولا : ماهية المكان.....
37	1- تعريف المكان.....
37	أ- لغة.....
39	ب- اصطلاحا.....
40	2-أنواع المكان.....
42	3- أبعاد المكان.....
46	4- أهمية المكان.....
47	ثانيا: التقاطب المكاني في رواية عصفور من الشرق.....
47	1-تمظهرات المكان و تجلياته.....
50	2-التقاطب المكاني و انطولوجيته بين الألفة و المكان المعادي.....
52	أ-أنطولوجية المكان المعادي التخيلي.....
55	ب-أنطولوجية المكان (الألفة،المنشأ الأول).....

57	3- الدينامية و المكان (أمكنة الانتقال،الإقامة)
62	الخاتمة
64	الملحق

قائمة المصادر و المراجع

الملخص

المخلص

شكل اللقاء بين الشرق و الغرب صورة من هذا الواقع و قد وجد مكانه في الإنتاج الروائي العربي و من هنا برزت ثنائية المكان كغيرها من الثنائيات التي نالت أهمية في الخطاب العربي الحديث .و تعاملت الرواية العربية منذ تجاربها المبكرة مع هذه الإشكالية التي صارت محورا في الخطاب الروائي العربي، فألف توفيق الحكيم روايته "عصفور من الشرق" حيث عرض العلاقة بين الشرق و الغرب و جعلها منطلقا رئيسيا لتلك النزعة الإنسانية و التي نظر الكاتب إلى أبعادها من خلال بطل روايته محسن الذي يجسد الحياة الشرقية و تمثل سوزي الوجه المشرق لحضارة الغرب فيبقى الشرق شرق بروحانيته و الغرب غرب بماديته.

الكلمات المفتاحية :

ثنائية المكان عصفور من الشرق توفيق الحكيم

تجليات المكان

The form of the meeting between East and West is an example of this Reality has found its place in the novel's production Arabic and from here the duality of place emerged like other The dualities that mattered in the Arab discourse The conversation The Arabic novel has dealt, since its early experiences, with This is a problem that has become central to the speech The Arab novelist, Tawfiq al-Hakim wrote his novel Asfour from the East, "where he presented the relationship between" East and West and made it a main starting point for that The humanism, whose dimensions the author looked at Through its protagonist, Mohsen, who embodies life. The Sharkia and Susie represent the bright face of a civilization The West remains East, in its spirituality, and the West Westernized by its materialism.

key words:

Dual locus bird from the east Tawfiq al-Hakim

The manifestations of the place

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ